جامعة أم درمان الإسلاميّة
كلّية الدّراسات العليا
كلية اللّغة العربيّة
قسم الدراسات النحوية واللغوية



أثر المدرسة البصرية في النحو الأندلسي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية

تخصص النحو والصرف

إعداد الطّالبة:

منى أحمد الحسين كرار

إشراف الأستاذ الدكتور :

محمد غالب عبدالرحمن وراق

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

الاستهلال

قال تعـــالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة هود الآية ١١٨-١١٩)

وقال ﷺ : (ليس العربية في أحدكم بأم ولا أب وإنما العربيـــة عربيـــة اللسان) .

صدق رسول الله

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمــام الخلــق أجمعــين، وعلى آله الذين اهتدوا بهديه وسلكوا نهجه وسننه وصــحبه الــذين تبعــوه ونصروه.

وبعد:

لم تكن الأندلس بمنأى عن الدارسات النحوية التي كانت فــي البصــرة والكوفة؛ لأن صوتها دوى في كل ركن من أركان العالم الإسلامي الذي كانت فيه الهجرة إلى العلم نشطة . ولا أدل على ذلك من تلك الرحلات التي تعددت بين أقاليم العالم الإسلامي المختلفة.

فقد أخذت العلوم في الأندلس تزدهر في عصر تمزقت فيــه الأنــدلس، وتفرق أهلها شيعاً وطوائف، فقد عرف الأندلسيون علوم العربيــة- النحــو خاصة- عن طريق تسرب كتب المشرق إلــيهم، فأخــذوا منهــا حــاجتهم واستدركوا على المشارقة بعض ما فاتهم من قواعد النحو، واستحدثوا لأنفسهم اتجاهاً خاصاً في النحو عُرف بالنحو الأندلسي، وفي مصادر أخرى بالمذهب الأندلسي أو المدرسة الأندلسية، ولا نبالغ إذا قلنا إن التأليف في هذا الإقلــيم البعيد عن موطن اللغة الأصلي قد وصل الذروة، وأن الإبداع تصــاعد إلــى أعلى الدرجات في تلك الحقبة التاريخية التي وصفها الكُتاب بالعصر الذهبي للإنتاج النحوي، ألا وهي القرن السابع الهجري حيث نشطت الحركة العلمية تأليفاً وتصنيفاً.

لذلك كان لي شرف عرض هذه الجهود النحوية لنحاة الأندلس بعــد أن عشت مع أعلامهم فترة من الزمن، منقبة لآرائهم، دارسة لمســائلهم، باحثــة لمواقفهم وتوجيهاتهم، مبينة لمنهجهم واختياراتهم.

وقد أخترت الحديث عن النحو الأندلسي وتوضيح حقيقة وجود المــذهب الأندلسي النحوي، ووجود ما يسمى عند بعض العلماء- بالمدرسة الأندلسية.

وأكثر ما دفعني لهذه الدراسة أيضاً ذلك الاضطراب الشائع في مفهـوم المدرسة النحوية، والخلط بين المدرسة النحوية والدرس النحوي، والمـذهب النحوي . فحاولت من خلال هذا البحث توضيح هذه القضية؛ لأن المدرسـة النحوية لا تكون مدرسة إلا أذا توحدت فيها الأهداف، وتناسـقت الأصـول، وتميز منهجها بطابع خاص ولم يكن الشأن كذلك في الأندلس.

وتهدف هذه الدراسة لتوضح هذه المفاهيم، ومن ثم توضيح أثر المدرسة البصرية– التي أرست وأسست للنحو العربي– في النحـو الأندلسـي الـذي نلمسه من خلال إعجابهم، وتأثرهم بأعلام المدرسة البصرية التـي اتسـمت بخصائص معينة في التفريعات والأصول على يد ابن السراج وأبـي علـى الفارسي . وهذا ما جاء توثيقه في الكتب والمصادر التي أرّخـت للأنـدلس كالإحاطة في أخبار غرناطة ونفح الطيب وغيرهما.

هذا وقد اخترت في تناولي لهذا الموضوع المنهج الوصفي الذي يقـوم على التحليل والتفسير للأمور الهامة والتعليق عليها.

ومن خلال قراءاتي للتراث النحوي الأندلسي لم أجد أمـامي إلا جـزءاً يسيراً من المصادر التي تناولت الحديث عن الدرس النحـوي الغزيـر فـي الأندلس، فليس هناك مقارنة بين المصادر وبين تلك الجهود النحويـة التـي أغنى بها علماء الأندلس مكتبتا العربية.

فما قام به الطنطاوي، والأفغاني، وشوقي ضيف، وعبدالعال سالم مكرم، وإبراهيم السامرائي، وعبدالقادر رحيم الهيتي، جهد يسـتحق الإعجـاب ولا ننكره .

لم يتناول هؤلاء العلمـاء فـي مؤلفـاتهم توضـيحاً لتلـك المفـاهيم والمصطلحات الواردة في كتبهم، وهي مصطلح المدرسة النحوية، والمـذهب النحوي، والدرس النحوي . فقلة المصادر الخاصة بالمدارس النحوية ومـدى تأثرها ببعضها والمقارنة بينها كانت إحدى مشكلات البحـث، أمـا بالنسـبة

للدراسات السابقة بالإضافة للمصادر المذكورة فهناك آراء مبثوثة في ثنايا الكتب تناولت الحديث عن المدارس النحوية .

وقد تضمنت هذه الدراسة أربعة فصول مسبوقة بتمهيد تناولت فيه التعريف بالنحو في اللغة والاصطلاح وأسباب نشأة النحو بإيجاز.

ثم جاء الفصل الأول بعنوان (المدرسة البصرية) ويحتوى على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم المدرسة النحوية أوضحت فيه مفهوم المدرسة النحوية ومنهجها وطابعها وميزت بينها وبين الدرس النحوي والمذهب النحوي.

المبحث الثاني: نشأة المدرسة البصرية وتاريخها: وتحدثت فيه عن مكانة البصرة العلمية ونشأتها ودروها الرائد في إقامة صرح الدراسات النحوية.

المبحث الثالث: بسطتُ فيه الحديث عن منهج الدراسات النحوية في البصرة ووجهة نظر البصريين الخاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغير ذلك.

وفي المبحث الرابع: تناولت فيه مصادر النحو البصري وهي السماع الذي يشمل القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب من شعر ونثر، ثم القياس الذي تحرّوا فيه الدقة في تحكيم قواعدهم النحوية ثم التعليل الذي يمثل مصدراً من مصادر النحو وتوسعوا فيه أيما توسع.

فقد تضمنت العلة واستوي سوقها عند نحاة البصرة (الخليل).

أما الفصل الثاني: فقد أفردته (للنحو الأندلسي) ويشتمل على ثلاثة مباحث:

تناولت في المبحث الأول: دخول النحو للأندلس حيث كان للفتح الإسلامي لتلك البلاد بداية لنشر مختلف العلوم وكان لعلوم العربية حظ وافرٌ

من اهتمام الأندلسيين ثم عرضت أطوار النحو الأندلسي في المبحث الثاني فقد مر بثلاث مراحل من كوفي النزعة إلى بصري النزعة ثم إلى بروزه في اتجاهين أحدهما بصري والآخر كوفي وأوضحت في المبحث الثالث مذهب النحو الأندلسي بينتُ فيه أصالة وجود مذهب الأندلسي النحوي بين القدامى والمحدثين.

أما الفصل الثالث فعنوانه: (أثر المدرسة البصرية في أصول النحو الأندلسي) وقد جاء هذا الفصل في أربعة مباحث: أما المبحث الأول فتحدثت فيه عن السماع في اللغة والاصطلاح وأوضحت فيه موقف نحاة الأندلس منه ومدى تأثرهم بالاتجاه البصري في قضية السماع.

ثم جاء المبحث الثاني بعنوان القياس وكذلك عرفت فيه القياس في اللغة والاصطلاح، وموقف نحاة الأندلس من القياس، وتشددهم فيه محتذين حذو نحاة البصرة في ذلك.

وفي المبحث الثالث: تحدثت عن ظاهرة التعليل وموقف نحاة الأندلس منها، وثورة ابن مضاء على العلة النحوية .

أما في المبحث الرابع تحدثت عن أثر المذهب البصري في اختيارات نحاة الأندلس وبسطت أمثلة من المسائل النحوية والصرفية لم يسعني المجال إلى حصرها كلها ولكن اكتفيت بما يرسم صورة واضحة لمنهج الأندلسيين وتأثرهم بالمدرسة البصرية.

أما الفصل الرابع فجاء بعنوان (الاتجاه البصري في الاحتجاج اللغوي عند نحاة الأندلس) ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاحتجاج بالقرآن والقراءات القرآنية حيث أوضحت موقف نحاة الأندلس من هذه القراءات، مع عدة نماذج تبين مواقفهم هذه.

أما المبحث الثاني: تناولت فيه قضية الاحتجاج بالحديث الشريف وموقف نحاة الأندلس وإكثارهم من الاستشهاد بالحديث الشريف وفاقاً للبصريين.

المبحث الثالث: أوضحت فيه اعتدادهم بالشاهد الشعري في بسط قواعدهم النحوية، وعدم مخالفتهم للبصريين في هذا الاتجاه.

وبعد تقسيمي للبحث إلى فصول ومباحث ختمت البحث بخاتمة، تحدثت فيها بإيجاز عن محتوى هذه الدراسة ثم أدرجت قائمة من النتائج والتوصيات وذيلت البحث بثبت من المراجع والمصادر، التي استعنت بها في هذه الدراسة مع مجموعة من الفهارس المختلفة، التي تشمل فهرس الآيات القرآنية والحديث الشريف، والأمثال، والشواهد الشعرية ثم فهارس الموضوعات.

وختاماً لهذا التقديم... لست أدعى لهذا العمل الكمال ولا أبرئه من الأخطاء والمثالب، فكل عمل بشري لا يسلم من الهنات والعيوب، وحسبي إني لم أدّخر جهداً في الرقي به إلى مستوى مُرضٍ .

فأسأل الله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، إسهاماً منى في دراسة هذا التراث المجيد، الذي أمدّ لغتنا بالحياة وكتب لها الخلود.

ولا يفوتني أن أشكر الله تعالى على أن مَنّ عليِّ بالصحة والعافية حتى أنهيت هذا العمل، وأن أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني للعالم البحر، والمربي الفاضل راعي هذه الرسالة منذ أن كانت فكرة وإلى أن اكتمل نضجها أستاذي الجليل: البروفيسور (محمد غالب عبدالرحمن ورّاق) عميد كلية اللغة العربية – حفظه الله – والذي تشرفت بإشرافه على هذه الرسالة، وبصحبته الكريمة، وفوائده وتوجيهاته الجمّة، أسأل الله له العافية وحسن الجزاء والثواب . وشكري وامتناني لكل الذين ساندوني ووقفوا معي.. أشقائي داخل وخارج حدود الوطن، وزملائي بمدارس القبس، وإدارة مكتبة جامعة أم

درمان الإسلامية، ومعهد الخرطوم الدولي للغة العربية، وجامعة القرآن الكريم، والشكر موصول للأستاذين الجليلين عضوي لجنة الحكم والمناقشة لقبولهما المشاركة في تقويم هذه الرسالة والشكر لله أولاً وأخيراً.

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة الجهود النحوية لنحاة الأندلس ومدى اعتدادهم بمصـــادر النحو العربي ومنهجهم النحوي في تقعيد قواعد اللغة فقــد تبـــاروا فـــي التـــأليف والتصنيف والشروح ولم يخالفوا في ذلك السابقين لهم في مجال الدراسات النحوية إلا في قضايا بسيطة لا تتصل بالأصول النحوية .

كما أوضحت هذه الدراسة الصورة العامة للمذهب البصري المدعم بكل مـــا يكفل السلامة للغة مما جعل الجهود النحوية التي أتت بعد جهود نحاة البصـــرة أن يسلكوا الطريق الذي أسست به مدرسة البصرة أصولها النحوية.

كذلك أوضحت الدراسة المفهوم الصحيح والتمييز الدقيق بـــين مصـــطلحي المدرسة النحوية والدرس النحوي.

وختمت هذه الدراسة بخاتمة حوت أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد

أسباب نشأة النحو العربي

النحو لغة واصطلاحاً:

النحو في اللغة من نحا ينحو نحواً.. وله معانٍ كثيرة أشهرها القصد كقولك: نحوت إلى الشيء بمعنى قصدته، ومعناه أيضاً المقدار كقولك: عندي نحو سبعة دراهم، ومعناه كذلك الجهة كقولك: ذهبت نحو الجامعة، ومعناه أيضاً المِثل كقولك: هو نحو ذاك أي مثله. (١)

ومن معاني النحو أيضاً القِسم كما في قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (كان نكاح الجاهلية على أربعة أنحاء) (٢) أي أربعة أقسام.

أما النحو في الاصطلاح: فهو لا يخلو من الآتي:

إما إنه ضبط أواخر الكلم وفقاً لقواعد معينة أو إنه يعنى الإتيان بالقليل من الألفاظ أو مخالفة اللهجة العامية. فالعامل القوى يتمثل في جعل القرآن الكريم محوراً للجهود الثقافية والعلمية للعرب(٣) في إخراج الحروف من مخارجها المقررة في الفصحى أو إنه تنوين الكلمة.

وفي الخصائص عُرِّف النحو بأنه (انتحاء سمت كلام العرب في تصريفه من إعراب وغيره...). (٤)

---

(١) لسان العرب:ابن منظور ٣٠٩/١٥ (نحا) ط ١ دار صادر بيروت، ١٩٩٠م.

(٢)صحيح البخاري: أبوعبدالله محمد بن إسماعيل، ١١٧/٥، باب النكاح ط ١، القاهرة ١٩٩٣م.

(٣) الأصول: د. تمام حسان، ص ٢٩، ط ١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١م.

(٤) الخصائص: ابوالفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد على النجار، ٣٣٤/١ دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.

بينما نجد ابن عصفور[1] يقول: (... النحو علم مستخرج للمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تألف منها)[2] وابن عصفور هنا جعل النحو علماً بأصولٍ يُعرف بها أحكام الكلمات العربية وقد نقل الأشموني[3] في شرحه على ألفية ابن مالك[4] ما ذهب إليه ابن عصفور.

وعلى ضوء ما ذُكر من هذه التعريفات المختارة ندرك أن تعريف ابن عصفور للنحو جاء شاملاً ومرادفاً لعلم العربية وليس قصراً على النحو. وقد جاء في حاشية الصبان تعريف النحو بأنه (علم يبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناءاً).[5]

أما المحدثين نجد أن كلامهم عن النحو لا يخرج عن ذلك التعريف الموجز لعلم النحو وهو(علم قواعد الكلم).[6]

---

(١) هو على بن مؤمن بن محمد بن على أبوالحسن بن عصفور الاشبيلي ولد سنة ٥٩٧هـ من أشهر مؤلفاته "المغرب" و"الممتنع في التصريف" و"شرح جمل الزجاجي" توفى سنة ٦٦٢هـ ترجمته في الوفيات لابن خلكان ، تحقيق احسان عباس ٢ /٩٣ ، دار صادر بيروت، د.ت.

(٢) المقرب: ابن عصفور، تحقيق د. الحواري وعبدالله الجبوري ٤٥/١، بغداد، ١٩٧١م.

(٣) هو نور الدين أبو الحسن، الفقيه الأصولي، النحوي، توفى سنة ٩٢٩هـ من أهم تصانيفه (منهاج الدين) و(شرح ألفية ابن مالك) ترجمة في معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ٤٠٧/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت.

(٤) شرح الأشموني: تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ١٦/١ دار إحياء الكتب، القاهرة، ١٩٥٥م.

(٥) حاشية الصبان على الأشموني: ١٦/١، دار إحياء الكتب، د ت.

(٦) النحو والنحاة: بين الأزهر والجامعة، محمد أحمد عرفه، ص ٢٦ مطبعة السعادة القاهرة د ت.

يقول ابن خلدون[1] في مقدمته: (... فاستنبطوا من مجـــارى كلامهـــم قوانين لتلك الملكة مطردة يقيسون عليها سائر أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه بالأشباه). [2]

أما الدكتور على أبوالمكارم فيقول في النحو: (...النحو دراسة للنظـــام التركيبي للغة وما يطرأ عليها للدلالة على الأفكار الذهنية...). [3]

خلاصة هذه التعريفات كلها إنها تصب في معنى واحد للنحو وهو (علم قواعد الكلم) وأن النحو يمثل رافداً من فروع علوم العربية وهو جانب جليـــل الشأن، كبير الأهمية لأنه الجانب الذي تسرب إليه اللحن، كما تسرب للصرف واللغة منبِّهاً الأذهان لوضع القواعد النحوية.

أسباب نشأة النحو:

لم تنشأ اللغة العربية تامة التكوين بل قطعت مراحل متعددة في نموِّهـــا وتهذيبها، فقد كان العرب يتوارثون لغتهم جيلاً بعد جيل، ولم يكن للغة علوم تخوض في أساليبها وتراكيبها، حتى إذا جاء الإسلام، ولـــمَّ شـــمل العـــرب، وهذّب عاداتهم، فقام بتهذيب طباعهم وحفزهم إلى البحث في ضـــروب مـــن المعارف، خاصة المتصلة بالقرآن والعقيدة وما فيه من أحكام وآداب.

لهذا فالعامل الديني الذي يتمثل في حـــرص المســـلمين علـــى قـــراءة المصحف قراءة صحيحة والمحافظة على النص القرآني ابتداء من مخـــارج حروفه وصفاتها وعلامات الإعراب لألفاظه.

---

(١) هو عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، ولد بتونس سنة ٧٢٣هـــ، وبرع في علوم كثيرة له كتاب (العِبر) في التاريخ ومقدمته المشهورة ترجمته في الأعلام ٩٣/٣.

(٢) مقدمة ابن خلدون:عبدالرحمن بن خلدون، ص ٥٤٦، دار الشعب القاهرة، د.ت.

(٣) تاريخ النحو العربي:في أواخر القرن الثاني الهجري د. على أبوالمكارم ٤٣/١، المكتبـــة الحديثة للطباعة والنشر، ط ١، القاهرة، ١٩٧١م.

كل هذا يُعد عاملاً أساسياً في نشأة النحو العربي خاصة بعد شيوع ظاهرة اللحن، التي ظهرت عندما خالط العرب الأعاجم، فكان هذا هو الدافع لضبط نصوص القرآن بشكله ونقطِهِ.

أما العامل الثاني لنشأة النحو فهو عامل قومي، إذ أن العرب كانوا في مواجهة ثقافات متعددة، إبان الفتوحات الإسلامية . فكان عليهم إما أن يكونوا تلاميذاً لغيرهم، أو أساتذة معتمدين في ذلك على القرآن والسنة النبوية.

فالعامل القومي إذن يتمثل في جعل القرآن الكريم محوراً للجهود الثقافية والعلمية للعرب[١]. وعلى إثر ذلك ظهرت العلوم الإسلامية الأخرى. من تفسير وقراءات وفقه وحديث.

ثم ظهر علم النحو إضافة إلى ذلك لإعتزاز العرب بلغتهم وخوفهم عليها من الضياع خاصة بعد اختلاطهم بالأعاجم. [٢]

أما العامل الثالث فيتمثل في الجانب السياسي الاجتماعي . فقد كانت دولة بني أمية عربية، تُقصر المكانة الاجتماعية على العرب دون الموالي، مما دفع الموالي إلى تعلم العربية التي هي لغة الدولة؛ ليتعلموا لغة القرآن ولينالوا مكانة مرموقة في الدولة ، فنشطوا نشاطاً ملحوظاً حتى صاروا هم أهل هذه العلوم العربية .

ومما لا شك فيه أن النحو استفاد من هذه العلوم التي ارتقت بالعقل العربي ارتقاءً جعله يرصد الظواهر النحوية المختلفة، ويحاول أن يجعل لها قواعد مطردة بعد استقراء العبارات والتراكيب القصيرة. [٣]

---

(١) الأصول: تمام حسان، ص ٢٢، مصدر سابق.

(٢) المدارس النحوية: شوقي ضيف، ص ١٢، ط ٢ دار المعارف القاهرة ١٩٩٢م.

(٣) السابق: المدارس النحوية، شوقي ضيف ص ١٢، ١٣.

ويرى يوهان فك[1] أن اتخاذ المسلمين الجدد لغة العرب لساناً لهم كــان هو الدافع الأول للملاحظات النحوية[2].

وعليه فإن نشأة النحو ينبغــي أن تلــتمس مــن الأســباب التاريخيــة والحضارية بصورة عامة وأهمها ما سبق ذكره من عوامل دينية واجتماعية وسياسية.

---

(١) يوهان فك : مستشرق كاتب في اللغات وتاريخها ، كتب في تاريخ العربية ابتــداءاً مــن الدولة الأموية والعباسية وانتهاء بعصــور الســلاجقة ، ينظــر: الأعــلام ١٣٢/٩ ط٢ ودراسات في اللغة واللهجات ص ٥.

(٢) دراسات في اللغة واللهجات والأساليب: يوهان فك، ص ١١ ترجمة د. عبدالحليم النجار الخانجي، القاهرة، ١٩٥٢م.

الفصل الأول

المدرسة البصرية

المبحث الأول: **مفهوم المدرسة النحوية**

المبحث الثاني: **نشأة المدرسة البصرية وتاريخها**

المبحث الثالث: **منهج الدراسات النحوية في البصرة**

المبحث الرابع: **مصادر النحو البصري**

المبحث الأول

مفهوم المدرسة النحوية

تعريف المدرسة لغة واصطلاحا:

التعريف اللغوي لكلمة "مدرسة" هو الموقع الذي يُدرس فيه والمُدرس هو الكتاب والمُدَارِس هو الذي قرأ الكتب ودرسها والمدراس هو المكـان الـذي يدرس فيه القرآن، ومِفعال من أبنية المبالغة في المكان، وأصل الدراسة هـو الرياضة والتعهد للنشئ. (١)

أما المعنى الاصطلاحي للمدرسة فله عـدة معـانٍ " هـي دار للتعلـيم الجماعي العام أو الاختصاص أو مكان للتدريب على هواية أو فن "مدرسـة رسم" مثلاً وهي جماعة من المفكرين أو العلماء أو الأدباء ذات اتجاه واحـد "المدرسة الإبداعية" "المدرسة النحوية".

* أو هي مثال يُحتذي أو قدوة "مدرسة في الأخلاق.
* المدرسة القديمة وتطلق على المحافظين أو المتمسكين بالقديم.
* مدرسة مهنية مؤسسة تعليم تقني تعد التلاميذ لممارسـة مهنـة مـن المهن.

والمدرسة في رأي بعض العلماء ما هي إلا اتجاه له خصائص مميـزة ينادى بها فرد أو جماعة من الناس ثم يعتنقها آخرون.

وقال آخرون إنها الاشتراك في وجهة النظر الذي يؤلف الجهة العلميـة ويرتبط ببعضهم على رأي واحد. (٢)

---

(١) لسان العرب،ا بن منظور، (درس)٣٠٦/١٠، ط دار صادر، بيروت.

(٢) أبو زكريا القراء ومذهبه في النحو واللغة، تأليف أحمد مكـي الأنصـاري، ص ٢٥٢، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٩٦٤م.

مما سبق نستخلص أن مدرسة البصرة النحوية تنتمي إلى المدارس المعنوية، التي تطلق على جماعة من المفكرين أو العلماء أو الأدباء ذات الاتجاه الفكري الواحد، تعهدوا علماً من العلوم "نحو اللغة" والتزموا دراسته ومُدارسته.

أما مفهوم المدرسة النحوية، فهو مصطلح يشير إلى اتجاهات ظهرت في دراسة النحو العربي، اختلفت في مناهجها في بعض المسائل النحوية الفرعية وارتبط كل اتجاه منها بإقليم عربي معين.

ولم يكن لهذا الارتباط المكاني دلالة علمية خاصة . ويرى بعض الباحثين أن القدماء لم يطلقوا على مسائل الخلاف في النحو القديم كلمة مدرسة، فلم يؤثر عنهم مصطلح المدرسة البصرية، ولا مصطلح المدرسة الكوفية.

ولكننا نرى في ثنايا الكتب والمؤلفات قولهم: مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين، وربما ورد في قولهم: مذهب سيبويه[١] ومذهب الأخفش[٢] وغيرهم من النحاة .

إلا أن الملاحظ في كتب المعاصرين أنهم استحسنوا لفظ المدرسة، فاستعاروها في مادة الخلاف النحوي، كما استعاروها في مسائل أدبية أخرى. فأطلقوا على بناء القصيدة عند أوس بن حجر[٣] – على سبيل المثال– بناءاً

---

(١) هو عمر بن عثمان بن قنبر، إمام البصريين في النحو، ولد عام ١٤٨هـ وتوفى ١٨٠هـ ينظر ترجمته في الأعلام ٥/٨١.

(٢) هو سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط نحوي عالم باللغة والأدب، تلميذ سيبويه توفى سنة ٢١٥هـ من مؤلفاته تفسير معاني القرآن ينظر ترجمته في الأعلام ١/٧٥.

(٣) أوس بن حجر بن مالك التميمي ، أبوشريح ، شاعر جاهلي ، ولد سنة ٥٨٠م، وتوفي ٦٢٠م، له ديوان شعر ، ينظر ترجمته في الأعلام ٢/٣١ ، ط١ .

خاصاً يختلف عما عند غيره من الجاهليين . واستمر هذا النهج في الاصطلاح عند بعض الباحثين، فكانت مدرسة الديوان، وهكذا قيل عن الأدب في المهجر على الرغم من الاختلاف الكبير بين أدباء المهجر في منازعهم الفكرية. (١)

ولعل هذا ما ذهب إليه الباحثون المعاصرون في تاريخ النحو والنحاة، فأثبتوا مصطلح المدرسة في نحو البصريين والكوفيين وغير ذلك.

عندما ننظر في التراث النحوي، لا نجد أن جمهرة نحاة البصرة والكوفة وغيرهم قد اختلفوا في أصول هذا العلم، ولم ينطلق هؤلاء من أفكار متعارضة، ولكنهم اختلفوا في المسائل الفرعية التي تتصل بالتعليل والتأويل . فكان لهؤلاء مذهب أو طريقة ولأولئك طريقة أو مذهب آخر. وقد يكون الاختلاف بين بصري وبصري، أو كوفي وكوفي آخر، ولربما نجد أن بصرياً قد وافق الكوفيين وكذلك العكس.

أما كلمة مذهب فترد كثيراً في الكلام عن الخلاف النحوي فيقولون: مذهب البصريين كما قالوا مذهب الكوفيين وقد تطلق كلمة مذهب على الطريقة التي سار عليها أحد النحاة فقالوا مذهب سيبويه كذا أو مذهب الأخفش كذا. (٢)

عند الإمعان في كتب التراث النحوي التي تعرضت للبحث في تاريخ النحو والنحاة، يلحظ خلوها من مصطلح "مدرسة" ولكن نجد أخبارا مجموعة لعلماء كل عصر على حِده.

---

(١) دروس في المذاهب النحوية: د. عبده الراجحي، ص ٢١، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٢م.

(٢) دروس في المذاهب النحوية:ص ٢٦.

ففي الفهرست[1] مثلاً نجد باباً يفرد الكلام في النحو وأخبار النحـويين واللغويين من البصريين، وباباً آخر لأخبار النحويين واللغويين الكوفيين ثـم باباً ثالثاً لأخبار جماعة من علماء النحو واللغة ممن خلـط بـين المـذهبين البصري والكوفي وقد عُرف هؤلاء الأخيرون عند الدارسـين بالبغـداديين . على أن أبا سعيد السيرافي[2] آلف كتاباً في أخبار النحويين البصريين بـدءاً بأبي الأسود الدؤلي[3] وانتهاءاً بابن السراج[4] وأبي بكر محمـد بـن علـى المعروف بمبرمان اللذين أخذ السيرافي عنهما النحو. ونص على أن في طبقة أستاذيه هذين من خلط بين المذهب الكوفي والبصري هما ابوبكر بن شفير[5] وابوبكر الخياط[6].

وعندما ألف أبوالطيب اللغوي[7] كتابه في مراتب النحويين، عـرض لعلماء الأمصار الثلاثة ممن اشتغلوا باللغة والنحو، بدءاً من أبي الأسود ومن

---

(١) الفهرست: ابن نديم، ص ٢٥، ط ٣، المطبعة الرحمانية، القاهرة، د.ت.

(٢) هو الحسن بن عبدالله أبو سعيد، نحوي وعالم بالآداب، ولد سنة ٢٨٤هـ توفى سنة ٣٩٧هـ ترجمته في الشذرات ٣/٦٥.

(٣) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني ولد سنة ٦٠٥م واضع علم النحو أول من نقط المصحف توفى ٦٨٨م ينظر ترجمته في أنباه الرواة ١/٤٨١.

(٤) هو ابوبكر محمد بن سهل البغدادي النحوي المتوفى سنة ٣١٦هـ ينظر ترجمته في أنباه الرواة ٣/١٤٥.

(٥) هو أحمد بن الحسن بن فرج بن شفير ابوبكر، البغدادي، النحوي، توفى سنة ٣١٧هـ ترجمته في معجم المؤلفين ١/١٢٣.

(٦) أحمد بن محمد بن منصور الخياط ابوبكر، نحوي، أخذ من المبِّرد توفى سنة ٣١٩هـ ترجمته في أنباه الرواة ١/٢٩٩.

(٧) هو: عبدالواحد بن على بن برهان، أبوالقاسم النحوي اللغوي،توفى ببغداد سنة ٤٥٦هـ ترجمته في معجم المؤلفين ٢/٣٣٤.

أخذ عنه وبعض اللغويين والنحويين من البصريين دون أن يعقد لذلك عنواناً. حتى إذا فرغ من البصريين عقد باباً لعلماء الكوفة ثم خصص الباب الأخير لعلماء بغداد.

أما الزبيدي[١] فقد وضع النحويين واللغويين في طبقات، بدأها بطبقات النحويين البصريين، وصنفهم إلى عشر طبقات . ثم انتقل بعدها إلى طبقات النحويين والكوفيين، فكانوا ست طبقات . ثم عاد إلى لغويي البصرة فكانوا سبع طبقات . ثم لغويي الكوفة وهم خمس طبقات . ثم خصص أبواباً لطبقات النحويين في مصر والأندلس.

وعلى كل حال فقد شاع بين المحدثين استقلال كل واحد من هذه الأمصار بمذهب شاع بين علمائها ونحاتها . فأُلف في ذلك كتاب عن مدرسة البصرة، وآخر عن مدرسة الكوفة النحوية، كما ألف الشيخ الطنطاوي كتاباً عن نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ثم صنف شوقي ضيف كتاباً عن المدارس النحوية، أجمل فيه الجهود الخصبة لكل مدرسة، وكل شخصية نابهة فيها، فابتدأ كتابه بمدرسة البصرة؛ لأنها وضعت أصول علم النحو وقواعده.

أما نشاط مدرسة الكوفة فقد بدأ متأخراً عند الكسائي[٢] الذي استطاع أن يستحدث في الكوفة مدرسة لها طابعها الخاص من حيث الاتساع في الرواية وبسط القياس وإنكار بعض القراءات الشاذة.

---

(١) هو ابوبكر محمد بن الحسن النحوي، الأندلسي المتوفى سنة ٣٨٠هـ وقد أختلف في تاريخ وفاته فقيل ٣٩٩هـ ينظر تاريخ علماء الأندلس ٣٨٣/١ ترجمته في أنباه الرواة ١٠٨/٣.

(٢) هو على بن حمزة بن عبدالله بن عثمان، أبوالحسن النحوي الكوفي، من أعلم الناس بالنحو وأحد القراء السبعة ولد بالكوفة له كثير من المؤلفات منها (معاني القرآن) و(الحروف) توفى سنة ١٨٩هـ ترجمته في الأعلام ٩٤/٥ ووفيات الأعيان ٢٩٥/٧.

أما المدرسة البغدادية فقد قامت على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية، ولم يتخلص علماء هذه المدرسة من نزعتهم إلى إحدى المدرستين السابقتين، أو ميلهم إلى مناهجها أكثر من ميلهم إلى المذاهب الأخرى أو إلى الاستقلال عنهما، ثم ظهرت بعد ذلك المدرسة الأندلسية بدءاً من القرن الخامس الهجري. (١)

ومثلها المدرسة المصرية إلا أن علماءها لم يكونوا إلا تابعين لعلماء البصرة أو الكوفة ولم يتجاوزوا الاجتهاد في الفروع.

موقف الأقدمين والمحدثين من المدارس النحوية:

قال الأقدمون بوجود مدرستي البصرة والكوفة النحويتين وتابعهم في ذلك جُل المحدثين . حتى صار وجودهما من المسلمات التي لا جدال فيها. غير أن بعض الباحثين ذهبوا إلى مراجعة الرأي في وجود المدرستين، وراحوا يبحثون عن مقومات المدرسة النحوية، وشروط قيامها أولاً، وبعد أن تكونت عندهم معايير دقيقة لقيام المدرسة النحوية،وعرضوا الدراسات القديمة عليها تبين لهم بما لا يقبل الشك أن الدرس النحوي في البصرة والكوفة لا يستحق تسمية مذهب أو مدرسة . وانتهوا إلى إنكار وجود مدارس نحوية عربية ثم انتهوا إلى مصطلح الدرس النحوي في البصرة بدلاً عن مدرسة البصرة. (٢)

بالنظر في كتاب تاريخ النحو وفي عبارة مؤلف الكتاب التي قال فيها "هذه الصفحات محاولة في وضع الأمور في نصابها حيال ما يسمى بالمدارس أو المذاهب النحوية".(٣)

---

(١) المدارس النحوية:ص ٣٧١ بتصرف.

(٢) دروس في المذاهب النحوية:ص ٢٩.

(٣) تاريخ النحو: سعيد الأفغاني،مقدمة تاريخ النحو، ص ٤، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

نستنتج من قوله هذا أنه غير معترف بصحة التسمية "مدرسة نحوية" أو "مذهب نحوي" ثم نرى بعد ذلك عنواناً بهذا الاسم "المدرستان الأوليتان" وتحته مدرسة البصرة والكوفة[١]. ثم خص الكوفة بعنوان كبير وهو "مدرسة الكوفة"[٢] ثم يأتي بعنوان آخر اسماه "الفروق بين المذهبين البصري والكوفي"[٣] وهذا يعنى أن مصطلحي "مدرسة" و"مذهب" واحد عنده.

أقف هنا لأقول: بما أن المدلول يُفضي لمعنى واحد فلا تثريب -عندي- على ما ذهب إليه صاحب كتاب تاريخ النحو، لكن ما يؤخذ عليه هو عدم وفائه بما ذهب إليه في مقدمته لكتابه؛ لأنه ذكر أنه سيضع الأمور في نصابها حيال ما يسمى بالمدارس النحوية، ثم ينتهي في كتابه إلى دراسة النحو الأندلسي فيُعنون لهذا الباب بـ"المدرسة الأندلسية"[٤] .

وهكذا نلاحظ أن المسميات القديمة على ما هي عليه على الرغم من الضرورة الملحة على استبدالها، إضافة إلى ذلك نرى مصطلح الدرس النحوي في البصرة والدرس النحوي في الأندلس وهكذا.. في إشارة منهم إلى الجهود النحوية، والأسس التي قامت عليها الدراسات النحوية في تلك الأمكنة.

غير أن الباحثة ترى أن إطلاق مصطلح "مدرسة نحوية" على الدراسات النحوية لا يخلو من التعنت والتعسف والمغالاة، فالمدرسة النحوية ينتظمها منهج صارم واضح المعالم، وطريقة معينة في التناول، وهذا ما لم ألمحه في هذه الدراسات . كما أن المدارس النحوية لم تكن مدارساً بالمفهوم النظامي

---

(١) تاريخ النحو:،ص ٣٤.

(٢) السابق:ص ٤١.

(٣) السابق:ص ٦٤.

(٤) السابق:ص ٩٥.

للمدرسة، بل كانت مذاهب لنحاة اللغة يتزاوج فيهـا المستحسـن مـن آراء السابقين مع الجديد المطور في النحو.

فالمناظرات النحوية وجلسات الحوار المفتوح بين الشيوخ والعلماء، أدت إلى إذكاء روح النشاط العلمي في الدراسات النحوية واللغوية، حيث يتمخض عن تلك الجهود تكوين آراء وترجيحات لا تخرج في الآخر عن أصول علـم النحو . ولهذا يمكن أن نسمى هذا الجهد النحوي بالدرس النحوي لا المدرسة النحوية؛ لأن مصطلح المدرسة النحوية –كما سبق ذكره- يجـب أن يكـون قائماً على معايير دقيقة، وأصول فكرية تنطلق منها . كما يجب أن يكون لها مصطلحات تميزها عمن سواها .

فالآراء التي ينفرد بها النحاة لا تشكل مدرسة مستقلة فـابن خـروف[١] مثلاً خالف البصريين ومع ذلك لم يقل أحد من النحاة أنه بآرائه تلك قد شكل مدرسة بعينها، ويمكن في هذه الحالة أن نسمى جهـوده النحويـة بالـدرس النحوي، ولا يمكن أن يقال أن ابن خروف يؤلف مدرسة جديدة في النحـو؛ لأن هذا يتناقض وأسس أي مدرسة .

إن من يسمى الخلافات القليلة بين بعض النحاة بالمدارس ينبغي أن ينتبه إلى أن هذا الإدّعاء قد انتهي، وإلا لماذا قلت كتب هؤلاء المخالفين المؤسسين للمدارس النحوية ذات الاتجاه الفكري المستقل؟ هذا المصطلح- أي المدرسة- إذا كان موجوداً في السابق فإنه اندرس ولم يعد له وجود، فالمتقدمون نصـوا على أنه لا يوجد سوى المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية، منهم أبوالطيب

---

(١) هو على بن محمد بن على بن محمد الرندي (ابن خروف) الاشبيلي أبوالحسن، أديـب، نحوي، أصولي ولد سنة ٥٢١هـ توفى سنة ٦٠٦هـ ترجمته في نفح الطيب ١٨/٢.

اللغوي صاحب مراتب النحويين فهما اتجاهان حقيقيان في النحو لكل منهما أصوله المعروفة.

وتأسيساً على ما سبق يجب أن نفرق بين مصطلح مدرسة نحوية، ودرس نحوي؛ لأن هذا يعنى أن النحاة في أي وقت يمكن أن ينظروا في آراء النحاة السابقين لهم، فيختاروا منها ما يريدونه ثم يقولوا هذا نحو جديد أو هذه مدرسة جديدة .

ومثل هذا في تقديري لا يجد القبول؛ لأنه إن تمَّ ذلك فسيكون في كل عصر مدارس نحوية متعددة، ولو حدث هذا في القرون السابقة لما وصل إلينا النحو العربي الذي يعرفه الناس اليوم كما عرفه السابقون.

أردت من هذا العرض أن أشير إلى استبعاد وجود ما يسمى بالمدرسة الأندلسية؛ لأن الدرس النحوي في الأندلس لم يرق إلى أن يكون مدرسة لها معالمها الخاصة . كما إن الأندلس من حيث موقعها الجغرافي بعيدة عن الموطن الأصلي للغة العربية، فلا ينبغي أن نقسم المدارس النحوية جغرافياً لأن النحو كغيره من العلوم لا يُقسم جغرافيا،

ً وإنما يمكن تقسيمه على الأصول التي سار عليها كل مذهب. فنقول مثلاً مدرسة القياس ومدرسة السماع... الخ.

عليه لا أتفق مع من أوردوا اسم المدرسة الأندلسية في مؤلفاتهم أو بحوثهم؛ لذلك يمكن القول بوجود مذهب نحوي أندلسي له أعلامه البارزون وطريقته الخاصة به.

على أنني أتفق في أن مصطلح مدرسة نحوية يمكن أن تسمى به المدرسة البصرية؛ لكونها صاحبة الريادة، والواضع لأسس وقواعد هذا العلم، انطلاقاً من أفكار وأصول ومصطلحات واضحة وخاصة بهذه المدرسة.

وخلاصة القول في موقف القدامى والمحدثين من المدارس النحوية هو أنه لم يؤثر عن القدامى مصطلح البصرية أو الكوفية أو غيرها من المدارس التي جاء ذكرها في كتب المتأخرين.. ولكننا نقرأ في كتبهم قولهم: مذهب البصريين أو مذهب الكوفيين أو مذهب سيبويه وغير ذلك..

أما المحدثين فاستعاروا لفظ "مدرسة" في مادة الخلاف النحوي، وأثبتوا مصطلح المدرسة في النحو البصري والكوفي، والبغدادي، والأندلسي والمصري.

وأغلب الظن عندي أن المحدثين نظروا في كتب التراث النحوي، والخلافات النحوية، والمذاهب المختلفة، واستخدموا مصطلح المدرسة؛ لتقابل ما شاع لدى الأوائل من استعمال لفظ "مذهب" .

في حين أن أحد الباحثين[1] أنكر وجود مدرستي البصرة والكوفه، زاعماً أن النحو القديم واحد، وأن الخلاف النحوي خلاف يتصل بالفروع وليس الأصول، كما يتصل بالمنهج ورأيهم في السماع والقياس، وبمادة المسموع والمقيس، خلافاً لمن كتبوا في المدارس النحوية أمثال شوقي ضيف ومهدي المخزومي وغيرها.

---

(١) إبراهيم السامرائي في كتابه المدارس النحوية أسطورة وواقع:ص ١٦ ط ١ دار الفكر عمان الأردن ١٩٨٧م.

المبحث الثاني

المدرسة البصرية ونشأتها وتاريخها

قبل الحديث عن بواعث نشأة المدرسة البصرية، لابد من وقفةٍ تاريخية لمكانة البصرة العلمية، وبيئتها ومجتمعها فهي أم العلماء، ومثابة الأُدباء، وموئل الشعراء وملتقي الجُدلاء، ومنهل التاريخ، وطِلبة الباحثين في مجال الدراسات اللغوية، والقرآنية، وخزانة علوم العرب، ومهد الدراسات الأولى الجادة في العربية نحواً وصرحاً ولغة.

أما بيئتها فهي بيئة عالمية جامعة، غيرت من واقع اللغة وجعلت منها لغة ثابتة الدعائم، واضحة الملامح، لها معاييرها الضابطة التي توفر لها السلامة والدقة.

أما مجتمعها فقد كانت البيئة البصرية متعدد الأقوام، كثيرة النحل، مزيجاً من ضروب شتى من الثقافات بيد أنها كانت تتعاطى – أي الأقوام– لغة مشتركة هي حصيلة التأثير والتأثر في آنٍ واحدٍ، بالرغم من شيوع ظاهرة اللحن، التي كانت إحدى إفرازات البيئة الاجتماعية المتباينة . فكان صراع اللغات عنيفاً، وكانت نتيجة هذا الصراع بلبلة لسانية تفرع عنها كثير من النوادر. (١)

وقد اتفق أهل البصرة حول ألفاظ بعينها وأهملوا أخرى مما اضطرهم إلى أن يتصلوا بالأعراب اتصالاً لغوياً في بوادي الأعراب.

---

(١) الحياة الأدبية في البصرة: د.كمال أحمد زكي،ص ١٧٢، ط ١ دار الفكر دمشق، ١٩٦١م.

هذا الوضع ساق البصريين للوصول إلى بعض القواعد التي اطمأنوا إليها بعد استقراء سُمى عندهم بالقياس(١) ، فقد استطاعوا أن يضبطوا لغتهم فكانوا إذا تعرض لهم شيء لا يوافق القياس أولوه وإلا فهو شاذ لا يُقاس عليه.

فالمدرسة البصرية هي التي وضعت أصول علم النحو، ومكنت له . وكل مدرسة سواها ما هي إلا فرع لها ذلك؛ لأن البصريين تعهدوا النحو بعد مرحلة وضعه المبكر على يد أبي الأسود الدُّولي، بتوجيه من الإمام على بن أبي طالب- كرم الله وجهه- بالعناية والرعاية.

وقد اتجهت البصرة وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي، وطرق الاستنباط ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغير ذلك وسيأتي الحديث عن الاستشهاد عند البصريين في المباحث التالية:

نشأة المدرسة البصرية:

إذا أمعنا النظر إلى البصرة من زاوية اجتماعية، لوجدنا فيها استقراراً لا تطوله الفوارق الاجتماعية بين طبقات مجتمعها، بخلاف ما كانت عليه الكوفة من اضطراب، وعدم استقرار، ووجدنا أيضاً ما يشبه الاندماج بين العناصر المختلفة، عربية وغير عربية؛ لذلك نجد أن أكثر الأجانب يتجهون إلى البصرة، لأنهم كانوا يجدون فيها حياة آمنة مستقرة .

---

(١) أخبار النحويين والبصريين:السيرافي، ص ٢٦-٣١ تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط١ دار الاستقامة ١٩٧٧م.

فكثرة الأجانب في البصرة واشتراك البصريين في العمل التجاري الذي هيأه لهم مركز البصرة وموقعها التجاري المتميز كل ذلك جعل من سكان البصرة شعباً موحداً. (١)

كانت عناية البصريين تنصب على الدراسة اللغوية والنحوية، فيما كانت عناية الكوفيين تنصب على دراسة القراءات والفقه والحديث . وكانت الحركة العلمية آنذاك تسير في تقدم، فالأمة التي لا تتسلح بالعلم أمة ضائعة؛ لأن العلم هو السند القوي الذي ترتكز عليه، الأمة في تقدمها وتطورها، ولم تظهر، دولة في القديم أو الحديث لها مكانتها المرموقة إلا بالعلم والثقافة لذلك؛ لا نستطيع أن ننكر بأي حال من الأحوال وجود نهضة علمية قوية في البصرة، التي يمكن إرجاعها لعوامل سياسية أو لدور التعليم والمؤسسات التعليمية أو خزائن الكتب.

وجاء في طبقات فحول الشعراء أن: "أول من بعج النحو ومد القياس والعلل عبدالله بن إسحق الحضرمي".(٢)

وابوإسحق(٣) نحوي بصري مما يدعونا أن نقول: أن النحو وليد البصرة، وفيها نشأ وترعرع، ولم يكن كذلك في الكوفة، وإنما وفد النحو على الكوفة من البصرة، ساعدها في ذلك موقعها الجغرافي المتميز، وقد

---

(١) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: الشيخ محمد الطنطاوي،ص ٣٦-٣٧ دار المعارف، ط ٥، ١٩٧٣م.

(٢) طبقات فحول الشعراء:ابن سلام، ص ١٤ بشرح محمود محمد شاكر مطبعة المدني القاهرة د.ت.

(٣) هو عبدالله بن إسحق الحضرمي أول من يعج النحو ومد القياس وشرح العمل، توفى سنة ١٢٧هـ ترجمته في طبقات الزبيدي ص ٣١.

نشره البصريون الذين أتوا الكوفة وكوفيون رجعوا من البصرة بعدما تتلمذوا على شيوخها. [١]

ليس من الطبيعي أن تصبح اللغة العربية لغة خالصة في البصرة، طالما أن نسيجها الاجتماعي –الذي أشرنا إليه– يتكون من هذا الخليط من العرب والأعاجم والأجانب، لأنهم لا يزالون يخضعون لمهاراتهم اللغوية الأولى لذلك شهدت البيئات الإسلامية المختلفة أمثلة كثيرة في التحريف ليس من الأجانب وحدهم بل من العرب.

وقد ذهب صاحب البيان والتبيين [٢] إلى أن "اللغتان إذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها"[٣] . وكان هؤلاء الأجانب الداخلون في ظل الحكم العربي، أكثر حرصاً على تعلم اللغة العربية، ودراستها ووضع قواعد تسهل عليهم الرجوع إليها؛ لذلك كان إقبالهم على هذه الدراسة، فكانوا يجلسون إلى شيوخ اللغة والنحو، وبرز من حلقات العلم هذي ثبتاً طويلاً من علماء النحو والعربية، الذين أسهموا إسهاماً لا تخطئه عين، في مجال التأليف والتصنيف والشروح . وسنعرض لعدد منهم في المباحث التالية.

تبع هذا النشاط العلمي في البصرة ظهور الدراسات اللغوية التي كانت في أول أمرها عملاً من الأعمال القرآنية . والواقع– حسب ما جاء في كثير

---

(١) مدرسة الكوفة:مهدي المخزومي ص ٨٩، ط ٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٧٨م.

(٢) هو عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ، عالم أديب، ولد بالبصرة سنة ٧٦٧م، وتوفي ٨٦٩م، أشهر تآليفه (الحيوان) (والبخلاء) و(البيان والتبيين)، ينظر ترجمته في وفيات الأعيان ٤٧٠/٣ .

(٣) البيان والتبيين:للجاحظ، ٨٧/١–٨٨، تحقيق عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي ط ٥، القاهرة ١٩٨٥م.

من المصادر- أن البصرة هي التي قامت بعبء هذا العمل منذ نشأته حتى استقام عوده، ومر زمن طويل قبل أن تشارك فيه الكوفة (وهي إنما أخذته عن البصرة تاماً ناضجاً وأحدثت فيه تغييراً يتصل بالمنهج والتطبيق). [١]

وقد ساعد البصرة على هذا السبق في هذا المجال ذلك الاستقرار السياسي، والنهضة العلمية التي أينعت ثمارها في البصرة قبل الكوفة؛ بسبب انشغال أهل الكوفة بالميادين العسكرية، والسياسية من جهة، وتلاقي أصحاب المذاهب المختلفة من جهة أخرى، مما أدى إلى ظهور حركة دينية مناهضة للمذاهب يقودها المعتزلة . فكان النحو أداة فعالة في تقويم هذا الجدل وقد أقبل الدارسون عليه إقبالاً شديداً، كما أقبل عليه الأعاجم للاستفادة منه في تعلُّم العربية حتى يتعايشوا مع العرب؛ لذلك كانت البصرة مقصد طلاب العلم والدارسين .

غير أن الكوفة اهتمت برواية الشعر وأصحاب الأخبار وحياة الأبطال والخطابة إلا أننا لا ننس لها صنيعها في حفظ ذخائر العرب وما أنتجته قرائحهم ورغم هذا فقد شعرت الكوفة بالحاجة إلى الأخذ عن البصرة وقِس على ذلك بالنسبة للأندلس.

شهدت البصرة منذ عهد أبي الأسود وقيامه بنقط المصحف نقطاً إعرابياً، ظهور طبقات من الدارسين صدرت عنهم أحكام، وإن لم تكن نحوية خالصة يمكن إرجاعها للنحو . فقد روي عن يحيى بن يعمر[٢] أقوالاً صحح بها لحناً وقع في كلام الحجاج[٣] .

---

(١) مدرسة الكوفة:مهدي المخزومي ص ٣٦ مطبعة الحلبي وأولاده مصر ١٩٥٨م.

(٢) يحيى بن يعمر أبوسليمان العدواني ، فقيه وأديب نحوي ، أخذ النحو عن أبي الأسود وهو أول من نقط المصحف ، ولد بالأهواز وأقام في البصرة ومات فيها سنة ٧٤٦م، ينظر ترجمته في : بغية الوعاة ٣٤٥/٢ .

(٣) الحجاج بن يوسف بن الحكم أبومحمد ولد سنة ٤٠هـ ومات سنة ٩٥هـ ينظر ترجمته في الأعلام ١٦٨/٢ ، ووفيات الأعيان ١٢٣/١.

وإذا وصل بنا المطاف إلى عهد الخليل[١] ويونس[٢] وتلميذهما سـيبويه نجد أن النحو قد استكمل أدواته وأصبح دراسة لها منهجها الخاص وأصولها وقواعدها .

ويتضح مما سبق ذكره أن الدراسة اللغوية في البصرة تطـورت حتـى انتهت إلى دراسة الإعراب، أو النحو بمعناه الخـاص والـدقيق. حيـث أن البصرة سبقت إلى التحضُّر والاستقرار والاشتغال في العلوم، والاستفادة من روافد الثقافة الأجنبية من فُرس وهنود ويونان . ففي مثل هذه البيئـة تتفتـق بواكير العلوم المختلفة والفلسفية التي لها تأثيرها الواضح فـي هـذه العلـوم والدراسات اللغوية فالخليل كان من المتكلمين ولم يكن أول من ظهر في نحوه تأثير هذه الثقافة الجديدة بميله إلى القياس والتعليل فقد سبقه أبوإسحق الـذي قيل عنه أنه "كان شديد التجريد للقياس"[٣] ويقال: (إنه أول من علل للعلل). [٤]

وتأثير علم الكلام في البحوث والدراسات اللغوية لدى البصريين، كان له أثرٌ عميقٌ في أن تكون الدراسات اللغوية ذات طابع فلسفي يركن إلى تقعيـد القواعد وتقنين القوانين. [٥]

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، إمام النحو، وباسط علم العروض ولد سنة ١٠٠هـ وتـوفى سنة ١٧٥هـ ترجمته في معجم الأدباء ٧٢/١.

(٢) يونس بن حبيب الضبي أبوعبدالرحمن تتلمذ على سيبويه توفى سنة ١٢٨هـ ترجمته في بغية الوعاة ٤٢٦/٢.

(٣) نزهة الألباء في طبقات الأدباء:عبدالرحمن بن محمد الأنباري ص ٢٥ ١٢٩٤هـ.

(٤) السابق:ص ٢٣.

(٥) مدرسة الكوفة:ص ٤٢.

انتسب البصريون للمدرسة البصرية عن طريق كتاب سيبويه[1] والتلمذة له، فقد بهرهم الكتاب وأعجبوا به وكان قائلهم يقول: (من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح[2]).[3]

فالكتاب هو قِوام المدرسة البصرية، ومحور نشاطها العلمي وأكثر ما جاءوا به هو أنهم كانوا يشرحونه ويفسرونه، ويستدركون ما فات سيبويه أو يؤيدون آراءه . وبذلك نفهم أن عقل البصرة كان أدق وأعمق وكان أكثر استعداداً لوضع النحو في صياغة علمية دقيقة، وهي صياغة لم تستطيع الجهود النحوية التالية لها أن تضيف إليها إلا بعض التعريفات والمسميات.

أما الأصول والقواعد والضوابط والأسس، فإنها ظلت راسخة ضاربة بجذورها في عمق اللغة والنحو، خاصة وكانت نقطة تلاقي جهود النحاة وإن اختلفوا فإنهم لا يختلفون في الأصول والضوابط الأساسية للنحو على الرغم من انفرادهم بآرائهم الخاصة.

لذلك أرى أن نحاة البصرة كالمذهب الأربعة في الفقه، جمعوا بين العقل والنقل ووفقوا بين القياس والسماع، وبينوا المفرد من الشاذ .

فالبصريون أهل العقل والقياس، وهم أهل النقل والسماع، فقد سعت هذه المدرسة إلى أن تكون القواعد مطردة إطراداً واسعاً، ومن ثم كانت تميل إلى طرح الروايات الشاذة دون أن تتخذها أساساً لوضع قانون نحوي، متشددة

---

(١) نشأة النحو: ص ٨٢ والمدارس النحوية: ص ٥٩.

(٢) فليستحي هكذا في المصدر.

(٣) مدرسة الكوفة: ٦٨ص،مدرسة البصرة النحوية د. عبدالرحمن السيد ص ٣١ دار المعارف مصر د.ت.

أشد التشدد في رواية الأشعار، وعبارات اللغة وتفصيل ذلك فيما أرى هو أن البصريين تحرروا ما نقلوا عن العرب ثم استقرؤوا أحواله فوضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب من هذه الأحوال .

المبحث الثالث

منهج الدراسات النحوية في البصرة

اتجهت البصرة وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغير ذلك.... ونشأ عن هذا أن أصبح للبصرة مذهب له طابع خاص . وقد وضع البصريون قواعد عامة لنحوهم والتزموا بها بشدة فأخذوا بالشواهد الموثوق بصحتها الكثيرة النظائر، المسموعة من الفصحاء باطراد فكانت قوانينهم التي أقاموها على هذه الشواهد أقرب إلى الدقة، أما ما ورد في فصيح كلام العرب مخالفاً لها فإنهم يؤولونه؛ لينسجم معها، أو يحكمون عند عجزهم عن التأويل بأنه شاذ عن القاعدة يُقبل؛ لأن قائله ممن يحتج به، لكنه يُحفظ ولا يُقاس عليه أو ينعتون هذا المخالف بأنه مصنوع لا يُلتفت إليه، أو لحن من مولد ينبغي أن يُطرح؛ لذا كثُر عندهم التأويل، والحكم بالشذوذ والضرورة، بل لقد تجرأ البصريون على أكثر من ذلك، فخطئوا أحياناً بعض العرب من أهل الاحتجاج في أقوالهم، أو في قراءاتهم للقرآن؛ إذا لم تجرِ على قواعدهم . وهم بذلك قد فضلوا القانون النحوي وآمنوا بسلطانه وجروا على القاعدة النحوية، وأهدروا ما خالفها حتى لو كان مسموعاً صحيحاً.

كان البصريون أقل رواية للشعر، وكان الشعر المصنوع لديهم منه أقل من المصنوع عند الكوفيين، وهذا هو السبب الذي جعل البصري يتحرّج من أن يأخذ عن الكوفي الشواهد.

وقال الرِّياشي[1] النحوي البصري مفتخراً على الكوفيين: (أخذنا اللغة من حَرَشَةِ الضِّباب وأكلة اليرابيع وأخذوها من أهل السواد وأكلة الشواريز وباعة الكواميخ). [2]

أي إنهم أخذوا اللغة عن البدو الخُلص والكوفيون أخذوها عن عرب المدن والشواريز جمع شيراز كدنانير جمع دينار وهو اللبن الرائب المصفي الثخين، والكواميخ أو الكوامخ جمع كامخ وهو مخلل يُشهي الطعام. [3]

لقد كان البصريون- في منهجهم النحوي- الأرسخ قدماً، والأكثر تنظيماً للقواعد النحوية . وكانوا الأوسع علماً والأولى بالثقة، وكانت طريقتهم الأقوى سلطاناً على اللغة، وشواهدهم من الشواهد الأكثر خضوعاً للانتقاء ،واتصافاً بالدقة فيه مما جعلهم أشبه بالمحافظين المتمسكين بالقديم الثابت.

تأثر البصريون بالمعارف العقلية وبالمنطق تأثراً عميقاً فأكثروا من التأويل والتقدير والتوجيه. [4]

وعنوا بالقياس واعتدوا به واعتمدوا عليه والتزموا الدقة في إجرائه وفي إقامة علله، محتكمين إلى الموازين العقلية، ومتأثرين بالمنهج الفلسفي،

كذلك شُغل البصريون بالتقنين والتقعيد؛ بسبب تأثرهم بالمنهج الكلامي عن الاهتمام بمادة اللغة لذاتها . فحاولوا إخضاع هذه المادة لما وضعوه من قوانين وقواعد اعتمدت على أسس فلسفية، وتأثرت بالروح المنطقية،

---

(١) هو العباس بن الفرج بن على بن عبدالله الرياشي أبوالفضل، بصري نحوي لغوي، ولد سنة ١٧٧هـ توفى سنة ٢٥٧هـ ينظر ترجمته في معجم المؤلفين ٣٣٤/٢.

(٢) البحث اللغوي عند العرب: أحمد مختار عمر، ص ٣٤ بيروت ١٩٧٢م وينظر نزهة الألباء لابن الأنباري ص ١٥٧ تحقيق إبراهيم السامرائي ط ٣ مكتبة المنار ١٩٨٥م.

(٣) لسان العرب: ١١٠/١٣ ، (كمخ) ط دار صادر، بيروت.

(٤) مدرسة الكوفة: ص ٤٢.

وأصبحنا نرى عندهم للقوانين قوانين أخرى، ولعلل الأقيسة الأولى عللاً ثواني وثوالث وراءها[1].

فكان التعليل عندهم يمثل عنصراً أساسياً في الدرس النحوي، وتذكر الروايات أن ابن أبي إسحق أول من اهتم بالعلل وشرحها[2] كما أسلفت.

وكذلك كان كتاب سيبويه – في أغلبه– مبنياً على التعليل وقد أخذ التعليل يتطور حتى صار غاية من غايات الدرس النحوي، وجعل النحاة يقصدون إلى التأليف في العلل النحوية[3] كما فعل الزجاجي[4] في كتاب "الإيضاح في علل النحو".

لم أدلف للحديث عن منهج البصريين في الاستشهاد، فقد أفردت له مبحثاً خاصاً به تحت اسم مصادر النحو البصري .

وتأسيساً على ما تقدم في الحديث عن منهج البصريين في الدراسات النحوية يمكن أن نصل إلى النتائج الآتية:

أولاً: أنهم يبنون القواعد على الأغلب الشائع من كلام العرب.

ثانياً: يحكِّمون المقاييس العقلية في الكثير من كلام العرب.

ثالثاً: إذا اصطدم أصل من الأصول بسماع غير مشهور، لجأوا إلى التأويل والتوجيه أو رُمي المسموع بالشذوذ أو الندور.

---

(١) البحث النحوي عند العرب ص ١٥١.

(٢) دروس في المذاهب النحوية: د. عبده الراجحي ص ٥٧ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٢م.

(٣) الرد على النحاة: ابن مضاء القرطبي ص ١١، ١٢ تحقيق شوقي ضيف مطبعة دار الفكر العربي،د.ت.

(٤) هو ابوالقاسم عبدالرحمن بن إسحق الزجاجي شيخ العربية في عصره ولد في نهاوند ٣٣٧هـ وتوفى في طبريه له كتاب (الجمل في النحو) و(الإيضاح في علا لنحو) ينظر ترجمته في الأعلام ٢٩٩/٣، ط ١٦، ٢٠٠٥م.

رابعاً: انتقاء المسموعات وطرح ما لا يتفق مع القواعد الموضوعة مما يقتضي وضع أمثلة تتفق مع الأصول.

لذلك أرى أن ما ذهب إليه البصريون في منهجهم هذا جيِّد؛ لأن الظواهر اللغوية يجب أن تفسر بعمل عقلي منطقي، الذي هو الأساس السليم للمنهج اللغوي.

فطريقة البصريين أكثر تنظيماً ودقة وأقوى سلطاناً على اللغة مقارنة بالمذاهب النحوية الأخرى إلا أننا نلاحظ –رغم صرامة قوانينهم اللغوية– قد اعتراهم بعض الاضطراب في قواعدهم المستنبطة من كلام العرب عندما غلطوا عبدالله بن عامر مقرئ أهل الشام في قراءة قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[1] بنصب أولادهم وجر شركائهم لأنهم لا يجوزون الفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا في ضرورة الشعر.[2]

كما أن سيبويه في كتابه احتج بأشعار المولدين الذين صنعوها ودسوها بين الأئمة فاحتجوا بها ظناً أنها للعرب ومنها قول القائل:

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٧، كتاب السبعة: لابن مجاهد تحقيق شوقي ضيف ص ٢٧٠ دار المعارف د.ت.

(٢) الاقتراح: السيوطي تحقيق د. أحمد محمد قاسم ص ١٠٠ ط ١، مطبعة السعادة مصر، د.ت.

أعـــرف منهـــا الأنـــف والعينانـــا

ومنخـــرين أشـــبها ظبيانـــا[١]

والشاهد هنا العينان بفتح النون في المثني بفتحة مقدرة على أنهـا مـن لغات العرب. [٢]

(١) الاقتراح: ص ٢٦ وهو رجز لرؤية العجاج في ملحق ديوانه ص ١٨٧ وبلا نسبة فـي خزانة الأدب: ٤٥٢/٧.

(٢) ينظر شرح الأشموني: ٣٩/١.

المبحث الرابع

مصادر النحو البصري

يعتمد البصريون على المصادر الأساسية في تقعيد النحو وهي القــرآن والحديث والشعر العربي الذي غلبت عليه الفصـــاحة والأصـــالة والأمثـــال والحكم بالإضافة إلى القياس وهو مصدر عقلي يمكن من خلاله اشتقاق صيغة على نسق متداول ومعروف.

ومن جملة المصادر التي اعتمد عليها البصريون في التأصيل لنحوهم :

أولاً: السماع:

هو النقل عن القُراء وعلماء اللغة والعرب الموثوق بهم .

وموقف البصريين من السماع هو أنهم يؤثرون السماع الكثير والقيـــاس الصحيح، فلا يقبلون المروي عن العرب على علاتـــه كمـــا لا يـــروعهم أن يجدوا - في بعض الأحيان- شواهد متعددة لقاعدة معينة، فتـــدعهم كثرتهـــا للتسليم بها، ولكنهم يرجعون عليها بالدراسة والتوثيق ليثبتوا صـــحيحها مـــن زائفها؛ لذا فالنحو عندهم أنضج وقواعدهم أسلم[١].

كذلك يعتمد البصريون في إجازتهم استعمال الكلمات والأساليب علـــى السماع الكثير- كما أشرت- والقياس الصحيح، ولم يجيزوا استعمال صـــيغة من الصيغ وأسلوب من الأساليب معتمدين في ذلك علـــى القيـــاس إلا فـــي موضعين:

---

(١) مدرسة البصرة: ص ٩٥.

أولهما: إجازتهم تقديم معمول الفعل في الاستثناء فأجازوا (ما طعامك أكل إلا زيدٌ) [١] محتجين بأن زيداً مرفوع بالفعل والفعل متصرِّف فجاز تقديم معموله وإن لم يأتوا لذلك بمثال من كلام العرب.

ثانيهما: إنهم أجازوا صرف "أفعل" في التفضيل لضرورة الشعر،[٢] محتجين بأن الأصل في الأسماء كلها الصرف، لأسباب عارضة فإذا اضطر الشاعر رده إلى الأصل، وساقوا أمثلة تدل على جواز صرف ما لا ينصرف في الضرورة الشعرية، ولكنهم لم يسوقوا مثالاُ يدل على جواز صرف "أفعل" من كلام العرب.

وعلى هذا النحو نجد أن البصريين قد دعموا كلامهم وآراءهم النحوية وقواعدهم بالأقيسة والعلل والمسموع من العرب الثقاة فشادوا للنحو صرحاً قوياً. ومن المصادر التي اعتمدوا فيها على السماع :

(أ) : القرآن الكريم:

لا يختلف أحد في أن القرآن الكريم أصل من أصول الاستشهاد النحوي، وتثبيت القواعد النحوية، إذ أنه أصدق مرجع، وأصح مصدر يرجع إليه النحاة في تقعيد قواعدهم واستخراج الأصول؛ لتكون معينة على فهم لغة العرب شعرها ونثرها . فكُثر الاستشهاد عند البصريين بالقرآن الكريم واعتمدوا عليه في بسط قواعد اللغة يقول السيوطي[٣]: (فكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً وقد أطبق الناس

(١) الإنصاف: مسألة رقم ٢١.

(٢) السابق: مسألة رقم ٦٩.

(٣) هو جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي عالم متبحر في اللغة ولد عام ٨٤٩هـ توفى عام ٩١١هـ مقدمة بغية الوعاة ١/١٠.

على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس في ذلك الوارد...).[1]

هذا ما أورده السيوطي في الاقتراح وما يجب أن يكون . إلا أن البصريين لا يجيزون الاحتجاج بالقراءات الشاذة كما أن هناك بعض القراءات لم ترضِهم ولم تنطبق على قواعدهم فرفضوها ولم يعملوا بها.

بل إن بعضهم رفض قراءات سبعية ثابتة كقراءة حمزة بجر الأرحام في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾[2].

غير إن البحث في اللغة في أول أمره، إنما كان لخدمة القرآن وصونه من اللحن الذي كان فاشياً آنذاك . فليس من الصواب أن يُجعل القرآن خاضعاً لمقاييس النحويين وقوانينهم، وإلاّ انعكست المسألة خاصة وإن هؤلاء الذين قرأوا هذه القراءات موثوق بهم، وأئمة يُرجع إليهم، واعترف الناس بفضلهم؛ لتفردهم في أسمي علم الذي هو دستور الدين وموئل المسلمين، الذي حفظه الله من الخطأ والتحريف قبل أن يرعاه المسلمون.

فالصحيح ألا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشي في اللغة والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصحَّ في النقل والرواية.[3]

---

(١) الاقتراح في أصول النحو: السيوطي، ص ١٧ مطبعة دار المعارف حيدر أباد ١٣١٠هـ.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) النشر في القراءات العشر: ابن الجذري، ١/١٠، ١١ مطبعة مصطفى محمد، د.ت.

ومادامو ا قد اطمأنوا إلى ما يرد من العربي الذي عُرف بفصاحته، فمن الواجب أن يقبلوا من القراءة ما ثبت نسبها إلى النبيﷺ ، وما صح عند أئمة القُرّاء .

وهكذا نلاحظ أن البصريين لم يكن لهم منهجٌ مطــردٌ فــي الاســتدلال بقراءات القرآن وبعضهم في – الأغلب – متفقون على نعت القراءة بـــاللحن استناداً على قول النحاس[1]: (فأما البصريون فقال رؤساؤهم هو لحن لا تحل القراءة به) [2] تعقيباً على قراءة ﴿ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾[3] بالخفض.

ولعل السبب في عدم وجود منهج ثابت عند استدلالهم بالقرآن الكــريم، وقراءاته هو أنهم في تلك المرحلة لم يفرقوا بين القراءة الشاذة، والمتــواترة لأن؛ القراءات لم تُصنف هذا التصنيف إلا على يد أبي بكر بن مجاهد[4] في بداية القرن الرابع الهجري. [5]

(ب) الحديث النبوي الشريف:

يُراد بالحديث النبوي أقوال النبيﷺ وأقوال الصحابة التي تحكي فعلاً من أفعاله عليه السلام، أو حالاً من أحواله أو تحكي ما سوى ذلك من أمور عامة

---

(١) هو أحمد بن إبراهيم محمد أبوزكريا النحاس، فقيه توفى سنة ٨١٤هــ ينظر ترجمته في الأعلام ٨٧/١.

(٢) إعراب القرآن: ابوجعفر النحاس تحقيق زهير غازي ٣٩٠/١ مطبعــة العــاني بغــداد ١٩٧٧م.

(٣) سورة النساء الآية ١. ينظر النشر في القراءات العشر : ابن الجزري ٢٥/١.

(٤) هو ابوبكر بن أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ كان بصيراً بالقراءات توفى سنة ٣٢٤هــ ينظر ترجمته في وفيات الأعيان ٦٣/٥.

(٥) الشاهد وأصول النحو: خديجة الحديني ص ٦٠ مطبعة جامعة الكويت، الكويت ١٩٧٤م.

أو خاصة، تتصل بالدين؛ ليحتج بها في إثبات لفظ لغوي أو وضع قاعدة نحوية أو تعضيد رأي من الآراء.

تعددت المصادر التي رجع إليها البصريون عندما بدأوا في التأسيس لعلم النحو، إلا أنهم انصرفوا عن مورد عذب كان الأجدر بهم ألا يهملوه ذلك هو حديث النبي الكريم، الذي أوتي جوامع الكلم وكان أفصح من نطق بالضاد وهو الذي قال عن نفسه: (أنا أفصح العرب بيد أني من قريش). [١]

كان من المعتقد أن تكون الأحاديث الشريفة الصادرة عن الرسولﷺ مرجعاً مهماً من مراجعهم، يأتي في الرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، ويتقدم السماع والقياس والشعر، ولكنهم لم يفعلوا وقد فُسِّر ذلك بأنَّ الحديث تجوز روايته بالمعنى، ومن هنا لم يُستشهد به لعدم إثبات نقله عن النبيﷺ. لذلك فقد ذهب العلماء في الاستدلال بالحديث مذاهب مختلفة:

أولها: عدم الاحتجاج بالحديث لأن الأحاديث تجوز روايتها بالمعنى إذ أن المقصود بها معناها لا لفظها، وإذا كان الأمر كذلك فليس هناك ما يثبت نسبة هذه الألفاظ للنبيﷺ ،بل إن هذه الأحاديث من ألفاظ الرواة الذين لم يكونوا عرباً بالطبع، وجُلَّ رواة الحديث كانوا من الأعاجم الذين تعلموا العربية عن طريق الدراسة والمحاكاة[٢]، ومن أنصار هذا المذهب أبوالحسن بن الضائع[٣] وأبوحيان. [٤]

---

(١) المزهر: السيوطي ١٢٧/١ مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ.

(٢) المدرسة النحوية في مصر والشام: للدكتور عبدالعال سالم مكرم، ص ٢٣٥ ط١، دار الشروق، مصر، ١٩٨٠م.

(٣) هو على بن محمد بن على الأشبيلي أبوالحسن اشتهر بالنحو ولد سنة ٦١٢هـ وتوفى بغرناطة سنة ٦٨٠هـ ينظر ترجمته في بغية الوعاة ١٩٩/٢.

(٤) هو أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي النحوي أبوحيان ولد سنة ١٢٥٦م وتوفى سنة ١٣٤٤م من كبار علماء العربية والتفسير ترجمته في نفح الطيب ٥٥٩/٢.

ثانيها: جواز الاحتجاج بالأحاديث التي عني بها الرواة بنقـل ألفاظهـا، ككُتُبِه للملوك والرؤساء عليه السلام والأمثال النبوية. أما الأحاديث التي يَعنى فيها الرواة بالمعنى أكثر من اللفظ فهذه لا يستشهد بها ومن أنصار هذا الرأي الشاطبي[1] والسيوطي. [2]

ثالثها: جواز الاستشهاد بالأحاديث جميعها؛ لأنه يغلب الظن أن ألفاظهـا لم تبدل، وأن تدوين هذه الأحاديث كان في الصدر الأول قبل فسـاد الألسـنة وفشو اللحن . وهذا رأي الدماميني[3] وابن مالك[4] وابن هشام[5].

وبناءاً على ما سبق ذكره أرى أن ما ذهب إليه البصريون مـن عـدم جواز الاحتجاج بالحديث نسبة لتعدد رواياته بألفاظ مختلفة وإن كان المعنـى واحد فهو أمرٌ يُعاب عليه البصريون؛ لأن الذين رووا هذه الأحاديـث لـيس جميعهم من الأعاجم، بل فيهم من العرب الذين يجوز الأخذ عنهم . فإذا كنـا نحتج بكلامهم من شعر ونثر فالاحتجاج بالأحاديث التي رووها عن النبـيﷺ

(١) هو أبوعبدالله محمد بن على، عالم باللغة ولد في بلنسيه سنة ٦٠١هـ توفى في القـاهرة سن ٦٨٤هت ترجمته في معجم المؤلفين ٧٧/١.

(٢) هو جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ولد سنة ٨٤٩هـ توفى سنة ٩١١هـ بالقاهرة عالم مشارك في أنواع العلوم ينظر ترجمته في المغنى ص ٣٥٨ ومقدمة بغية الوعاة ١٠/١.

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن عمر مالكي نحوي ولد سنة ٧٦٣هـ وتوفى سـنة ٨٣٧هـ ترجمته في المغنى ص ٣٢٨.

(٤) ابن مالك : هو محمد بن عبدالله بن مالك جمال الدين أبوعبدالله ، ولد سنة ١٢٠٣م، توفي ١٢٧٤م ، كان إماماً في اللغة العربية ، من أشهر مؤلفاته : الألفية في النحو ، والكافيـة والتسهيل ، ترجمته في بغية الوعاة ١١٣/٢ .

(٥) هو عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري ولـد ٧٠٨هـ بالقاهرة توفي بها ٧٦١ـ من أشهر مؤلفاته : مغني اللبيب وأضـح المسـالك ، ينظـر ترجمته في الدرر ٣١٠/٢ .

أجدر، كما أن الحديث النبوي حظي بعناية ودقة فائقة فقد وضِعت للرواية شروط، واشترط في الرواة صفات خاصة حتى الأعاجم من الرواة الذين يرجعون إلى أصول غير عربية . فقد كانوا حُجة في اللغة أمثال سيبويه والحسن البصري[1] وغيرهم. فقد استشهد سيبويه- بصري- بالحديث في سبع مواضع من كتابه[2] وهو لا يجعل الحديث مصدراً للاستشهاد، بل استئناساً أو تقوية لشاهد أو رأي، ولم يشر صراحة إلى أنها أحاديث ومع هذا لا يُعد من أنصار الاحتجاج بالحديث، بدليل أنه لم يذكر عبارة قال رسول اللهﷺ أو ما يدل على أن ذلك من الاحتجاج بالحديث، كذلك احتج الخليل بن أحمد بالحديث في الجزء الأول من كتابه بما لا يقل عن خمسة عشر حديثاً، والاحتجاج بالحديث في المعاجم ليس محل خلاف. [3]

يتضح من ذلك أن للاستشهاد بالحديث اتجاهات متعددة للنحاة المتقدمين والمتأخرين بصريين أم كوفيين وغيرهم من نحاة المذاهب النحوية الأخرى.

هناك من المحدثين من يقول عنه يونس[4] عندما سُئل (أيكما أسن أنت أم حماد بن سلمة؟ فقال: هو أسن مني ومنه تعلمت العربية لا شك عندي أن

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد إمام أهل البصرة وفقيهها ولد سنة ٢١هـ ووفاته سنة ١١٠هـ ترجمته في الأعلام ٢/٢٢٦.

(٢) ينظر فهارس عبدالسلام هارون لكتاب سيبويه ٥/٣٢.

(٣) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ١/٦٢، ٦٧، ١١٢، ١٠٥، ٨٠، ٧٢، ٧٠، ١٨٢، ١٨٤، ١٦٧، ١٦، ١٦٤، ١٥٣، ١٣٣، ١٢٢، ١٢١، ١١٩، ٢٧٨، ١٧٨، ١٨٥.

(٤) هو يونس بن حبيب الضبي نقل عن سيبويه وتتلمذ عليه توفى سنة ١٢٨هـ ينظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/٤١٦.

حديثاً مأموناً من الخطأ والتدليس والوضع ومحروصاً عليه من ناقلـه أولـى بالاعتبار من الشاهد الشعري الذي لا يُعرف له نظير في اللغة). [1]

وعليه فالرأي الراجح عندي تأييد الاستشهاد بألفاظ ما يروى في كتـب الأحاديث المدونة في الصدر الأول للإسلام، وإن اختلفت فيهـا الروايـات . يستثني من ذلك الألفاظ التي يقع فيها التصحيف، أو كانت من روايـة شـاذة ذلك لأن جمهور اللغويين وطائفة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة في الحديث. [2]

(ج) كلام العرب من شعر ونثر:

وهو ما يحتج به في صحة اللغة وقد نظروا فيه من عدة جوانـب مـن حيث القبائل وهو ما يصح أن نسميه بالاعتبار المكاني ومن حيث التوقيـت وهو ما يسمى بالاعتبار الزماني وصنفوا القبائل إلى أهل وبر وأهـل مـدر، وقسموا الشعراء إلى جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومولدين ومحدثين.

من خلال هذه التقسيمات أوردوا نصوصاً يُستنتشف منها التحديد الـذي يصلح أن يكون قانوناً للاحتجاج اللغوي بالاعتبارين الزماني والمكاني .

وقد عقد ابن جني[3] باباً في كتابه الخصائص أوضح فيه رأيه في صحة الأخذ من أهل الوبر والمدر[4]. ونستنتج من خلال ما أورده في هذا الصـدد أن عصر ابن جني هو القرن الرابع الهجري الذي اختلطت فيه الألسنة فـي

---

(١) أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد السيرافي ص ٣٤ القاهرة ١٩٥٥م.

(٢) أصول النحو العربي: سعيد الأفغاني ص ٥٥–٥٨ مطبعة جامعة دمشق ط ٣، ١٩٦٤م.

(٣) هو عثمان بن جني، أبوالفتح، النحوي اللغوي ولد عام ٣٢١هـ وتـوفى ببغـداد سـنة ٣٩٢هـ أشهر تصانيفه : الخصائص والمنصف والمحتسب ، ينظر ترجمته فـي بغيـة الوعاة ٣٢/٢.

(٤) الخصائص: ابن جني ٥/٢ المكتبة العصرية القاهرة ١٩٥٦م.

المدر ولذا فلننظر في لغة أهل الوبر فإذا وجدناها خالصة نأخذ بها ونعتبرها حجة.

يتضح مما سبق أن القرن الرابع الهجري لا يصح الاحتجاج والاستشهاد فيه بأهل المدر، بينما يصح الاحتجاج بأهل الوبر بشرط بقائهم على بداوتهم. كما أن القرن الثاني الهجري آخر عصر للاحتجاج اســتناداً علــى تــوقيتهم بالشاعر إبراهيم بن هرمة[١] آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم.

ومعنى هذا أن النحاة الذين عاصروا تلك الحقبة التاريخية أمثال سيبويه والخليل فيعتبر كل ما قالوه حجة . وقد ذُكر في الفهرست أخبار جمع كبيــر منهم في عدة مقالات مثل المقالة الثانية في أخبار النحويين واللغويين. [٢]

ومن الملاحظ أن واضعي اللغة كانوا من علماء تلك الفترة، فلــذا مــن الصواب أن نسير على نهج هذا القانون اللغوي نزن به ما يــرد إلينــا مــن كلامهم، فاللغات تعتبر حجة إذا بقيت بعيدة عن الحضر.

وخطة البصريين في الاستشهاد بالشعر هي الاعتمــاد علــى الشــواهد الموثوق بها، الكثيرة التداول والدوران على الألسنة، التي تصلح –للثقة فيهــا والاطمئنان عليها– على أن تكون قاعدة تتبع ومثلاً يُحتذي، ولن يكون ذلــك إلا إذا وردت في القرآن الكريم أو نطق بها العرب الخُلص الذين إعترف لهم بالفصاحة؛ لبعدهم عن مخالطة الأعاجم لذلك قال السيوطي: (اتفقوا علــى أن

---

(١) هو إبراهيم بن هرمة من قيس بن غيلان الكناني القرشي أبوإسحق توفى سنة ١٧٦هـــ ينظر ترجمته في الشعر والشعراء ٧٥٣/٢.

(٢) الفهرس: ابن نديم ص ٣٦ المطبعة الرحمانية مصر د.ت.

البصريين أصح قياساً لأنهم لم يلتفتوا إلى كل مسموع ولا يقيسون على الشاذ...). [(١)]

ومما يفتخر به البصريون أنفسهم قولهم: (نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع....). [(٢)]

فالبصريون لا يسلمون لكل ما يسمعون، ولا يجيزون إلا حيث يثقون، ولما كانوا يعرفون عن الكوفيين تسامحهم في ذلك، لم ينقلوا عنهم شيئاً وإن أخذ عنهم هؤلاء.

لقد كان نحاة البصرة يتحرون الدقة فيما ينقلون ويقفون عند الشاهد الموثوق بصحته الذي له نظير؛ لذا كانت قواعدهم وأقيستهم أقرب إلى الصحة والدقة، وكانوا يؤولون ما كان مخالفاً للقواعد، ويحكمون بأنه شاذ أو مصنوع؛ لذا كثر عندهم ما قل عند الكوفيين من التأويل والحكم بالشذوذ والضرورات؛ لذلك كانوا أقوى سلطاناً على اللغة؛ لأن المدرسة البصرية نشأت في وقت مبكر والعرب أكثر امتلاكاً لناصية اللغة وأشد حرصاً على سلامتها، وأحفظ أفئدة لقرآنهم فكان ذلك كفيلاً بأن يدعوهم إلى شيء من الاطمئنان والثقة، فكانوا يتتبعون ما يروى عن العرب ليعرفوا وجه الصواب فيه كما فعل ابن إسحق مع الفرزدق[(٣)] وعيسى بن عمر[(٤)] الذي كان يرى في

---

(١) الاقتراح: للسيوطي ص ١١.

(٢) نزهة الألباء: لابن الأنباري ص ١٥٧ تحقيق إبراهيم السامرائي مكتبة المنار ط ٣، ١٩٨٥م.

(٣) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي أبوفراس بصري من شعراء الطبقة الأولى توفى سنة ٧٢٨ في البصرة ترجمته في الأعلام ٩٣/٨.

(٤) عيسى بن عمر الثقفي أبوسليمان من أئمة اللغة وهو شيخ الخليل وسيبويه أول من هذب النحو ورقيه أشهر مصنف (الجامع) و(الإكمال) في النحو توفى سنة ٧٦٦هـ ترجمته في الأعلام ١٠٦/٥.

شعر النابغة[١] ما يستحق النقد ولعل ذلك دفع بعض المؤرخين للقول بأنهما كانا يطعنان على العرب. [٢]

وأرى أنه ليس في ما ذهبا إليه أي- ابن أبي إسحق وعيسى بن عمر- من باب الطعن في شيء وإنما هو حرص على سلامة اللغة وتقويم الألسنة في زمن كان فيه اللحن فاشياً.

وخلاصة ما تقدم ذكره هو أن نحاة البصرة لا يعبأون بالشاهد الذي لم تثبت صحته، أو إنه ضرورة في اختيار الكلام، فلا يُبني عليه حكم، أو أنه شاذ يُحفظ ولا يُقاس عليه؛ لخروجه عن القاعدة؛ لأنهم أرادوا أن يضعوا أسساً لعلم النحو، تتسم بالقوة والرسوخ وقوة البيان، بعيدة من مظان الريبة ودواعي الفساد.

(د) الأمثال والنثر:

إن الأمثال مصدر مهم من مصادر الاستدلال اللغوي والنحوي وهي مسموعة من الأعراب رواية، وقد رأي فيها النحاة مرتكزاً حيث يعتمدون عليه في استنباط قواعد النحو. ولكن يلاحظ أن هذه الأمثال قد لا تحتفظ بصيغتها الأصلية، على الرغم من أنها قول موجز سائر بين الناس، فقد يدركها التغيير . وفي كتب الأمثال شواهد لا حصر لها في اختلاف الروايات ومع ذلك لم يمنع من أن تكون مصدراً من مصادر الاستدلال عند النحاة لاستنباط الأصول.

---

(١) هو حبان بن قيس بن عبدالله العامري شاعر جاهلي نبغ في الشعر ولد سنة ٥٦هـ وتوفى ٦٨٤م ترجمته في طبقات فحول الشعراء ١٢٣/١.

(٢) أخبار النحويين: ص ٢٥-٢٦.

فالبصريون كانوا يعيشون في محيط كانت الأمثال فيه شائعة متداولـــة، فقد أودع سيبويه في كتابه طائفة مقدَّرة من هذه الأمثال فساقها منفــردة فـــي دعم الأصل الذي استنبطه فمن ذلك:

- إنه أجاز الابتداء بالنكرة بمثلين (شرٌّ أَهَرَّ ذا ناب) [١] و(أَمْتٌ[٢] فـــي حجرٍ لا فيك) [٣] واستدل أيضاً على إضمار الفعل المستعمل إظهاره بســـبعة أمثال. [٤]

والأمثال على التوالي هي: (اللهم ضبعاً لا ذئباً) (أمر مبكايتك لا أمـــر مضحكاتك)، (الظباءَ[٥] على البقر) (أفرقا خير من حُب)، (أدفع الشـــر لـــو إصبعاً) (مُعرضٌ لَعَنَنٍ لم يعْنِه) [٦] (بيع الملَطَي لا عهد ولا عقد). [٧]

وقد يأتي سيبويه بالمثل معززاً لشاهد قرآني[٨] أو لشاهد شعري وتبعـــه في ذلك المبِّرد. [٩]

---

(١) يضرب عن ظهور إمارات الشر ، ينظر موسوعة أمثال العرب ، د. أميل بديع يعقوب، ٢١٨/٤ ، دار الجيل بيروت ، ط ١، ١٩٩٥م .

(٢) الأمْتُ هو العوج ، ينظر : لسان العرب ٥/٢ (أمتٌ) .

(٣) ومعناه أبقاك الله بعد فناء الحجارة والمثل يضرب في دعاء الخير . ينظر : موســـوعة أمثال العرب ٢٤/٣.

(٤) الكتاب: ٢٥٥/١، ٢٥٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٢.

(٥) نصب الظباء على معنى اخترت أو اختار الظباء على البقر والبقر كنايـــة عـــن النســـاء والمثل يضرب عند انقطاع الصداقة أو القرابة ، ينظر :موسوعة أمثال العرب ٣٢٤/٤.

(٦) عنن: تعرّف لشيء لا يعرفه وأيضاً : العنن أول الكلام والمثل يضرب للمعترض فيمـــا ليس من شأنه ، لسان العرب ٣١٠/١٠ دار صادر.

(٧) الملطي: هو البيع بلا عُهدة لسان العرب ١٢٣/١٤، دار صادر.

(٨) الكتاب ٢٦٠/١-٢٦١.

(٩) هو محمد بن يزيد أبوالعباس المبرد، إمام العربية ببغداد، ولد بالبصرة ســـنة ٢١٠هـــــ وتوفى فيها سنة ٢٨٦هـــ ترجمته في الأعلام ١٤٤/٧ وينظر المقتضب للمبـــرد تحقيـــق عبدالخالق عضيمة ١٤٥/٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٣٨٦هـــ،

لابد من الإشارة هنا إلى أن كثيراً من الأمثال الواردة في كتب النحو تختلف في روايتها عما هي عليه في كتب الأمثال المجموعة؛ والسبب في هذا الاختلاف يعود إلى الأعراب، أو الشيوخ الثقاة . وقد يكون سببه العامة فقد تُرفع لفظة أو تُنصب وتُبدل لفظة أخرى .

فالأمثال وما جرى مجراها وشاعت على الألسنة كقول العرب "في الصيف ضيعتِ اللبن"[١] إلى غير ذلك مما يُطمأن إلى صحته تعد مصدر من المصادر التي يعتمد عليها النحاة في تقعيد قواعدهم .

ونشير هنا إلى أن هنالك جُهود مقدَّرة من البصريين في سبيل الحصول على النصوص الأدبية واللغوية، التي لم تسلم في بعض الأحيان من النقد والطعن فقد طعن المبرد[٢] في بعض شواهد سيبويه. [٣]

وأرى في ذلك أن في هذا خطوة جادة وجريئة لوضع ضوابط وأسس الاستشهاد، والابتعاد عن محاذير كثيرة من شأنها أن تصحح أصلاً من أصول الاستنباط.

أما النثر فقد انصرف النحاة عنه؛ لأنهم وجدوا (في بيوت الشعر الأمثال والأوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد[٤] فلم يعتمدوا عليه إلا قليلاً كما أن هناك فروقاً في مستوى الأداء اللغوي بين البادية والمدينة إذ أن كلام أهل

---

(١) يضرب لمن يطلب شيئاً فوته على نفسه ، ينظر : موسوعة أمثال العرب: ٤٧٨/٤.

(٢) ينظر المقتضب: للمبرد ١١٧/١-١١٨.

(٣) الكتاب: لسيبويه ٣٧٣/٢.

(٤) البيان والتبيين: للجاحظ تحقيق عبدالسلام هارون ٩/٢ مكتبة الخانجي ط ٤، ١٩٧٧م.

الحضر (مُضاءٍ لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتأليفهم إلا أنهم أخلوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح) . [١]

لذلك كان الباعث لظهور النحو فشو اللحن عند هؤلاء، وكان تحديد القبائل التي يجب الأخذ عنها سبباً لتجنب ما وقع عند هذا وذاك في غيرها من القبائل؛ لهذا اعتنى سيبويه وتبعه نحاة البصرة بكلام العرب، بل كان يفضله لخلوه من الضرائر[٢] فينص على سماعه من العرب .

أما من جاء بعدهم من نحاة البصرة فلم يكن أمامه من سبيل أن يعتمد على رواية الشيوخ القدامى كما نقلتها الكتب يُستثني من ذلك المبِّرد – الذي اختص(بعمارة بن عقيل[٣]) [٤]. وهو مما لا يجب الأخذ عنهم –، وابن جني.[٥]

---

(١) الخصائص: ابن جني ٢٩/٢.

(٢) معاني القرآن: للاخفش ١٢٣/١.

(٣) عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الشاعر من أهل البصرة ، واسع العلم ، غزير الأدب ، ولد ١٨٢هـ وتوفي ٢٣٩هـ ، ينظر : تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي : تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ٢٧٧/١٢، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٤م .

(٤) جاء ذكره الكامل للمبرد: ٢٩/١، ٤، ١٢٧، م١٦٢.

(٥) الخصائص: ١١٢/٢ .

ثانياً: **القياس**:

اتفق أهل البصرة حول ألفاظ بعينها وإهمال أخرى مما اضطرهم إلى أن يتصلوا بالأعراب اتصالاً لغوياً في بوادي الأعـراب هـذا الوضـع سـاق البصريين إلى الوصول إلى بعض القواعد التي أطمأنوا إليها بعـد اسـتقراء سُمى عندهم بالقياس.

وقد استطاع البصريون أن يضبطوا لغتهم فكانوا إذا تعرض لهم شيء لا يوافق القياس أولوه – كما أشرت في المباحث السابقة– وإلا فهو شاذ لا يقاس عليه بخلاف الكوفيين الذين كانوا (لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالفاً للأصول لجعلوه أصلا وبوبوا عليه). (١)

وفِكر البصريين أنهم يتتبعون اللغة ويقرون بشواهدها لوضع القواعـد، فاللغة هي الأصل وخير ما يقوِّيها الشاهد القديم أولاً(٢) إلا أن هذا لم يمـنعهم من الاحتكام إلى طبيعة اللغة، من ذلك ما نرى فيه سـيبويه ينـاقش نصـب بعض الأسماء دون أن يكون في الكلام فعل ظاهر يعمل فيه، ويفسر النصب بأنه طبيعة استعمال العرب "حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه في الكلام ولعلم المخاطب أنه محمول على اسم"(٣) .

إن هذا يدل على أن البصريين لم تمنعهم قواعدهم من الاحتكـام إلـى ظروف المعاني ولكن ليس في كل الأحوال، لأن القياس عندهم فـي المحـل

---

(١) أخبار النحويين والبصريين: ص ٢٦-٣١.

(٢) الاقتراح: ص ٨٤ ط حيدر أباد ١٣١٠هـ.

(٣) الكتاب: ١/١٢٣.

الأول ولهذا قيل في حدِّه النحو علمٌ بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو. (1)

كما يغلب على نحاة البصرة الاحتكام إلى العقل . والخليل في تنظيمه لمسائل القياس ظهرت عنده أركانه الأربعة وهي الأصل، والفرع، والحكم، والعلة .

والأصل في تلك العملية القياسية هي المقيس عليه واشترط فيه البصريون ألا يكون شاذاً حتى إذا تعارض القياس والسماع نطقوا بالمسموع دون أن يقيسوا عليه. (2)

والحكم هو ما يجرى على المقيس وقد انتهى البصريون متأثرين بالبحوث المنطقية والفقهية إلى أنه واجب وممنوع وحسن وقبيح.

ولم يكن الخليل أول من مال إلى القياس والتعليل فقد سبقه أبوإسحق الذي قيل أنه كان (شديد التجريد للقياس) (3) ويُقال أنه (أول من علل العلل) (4) يشاركه في ذلك عيسى بن عمر الثقفي الذي يعتبر أيضاً من الرواد الأوائل الذين عرفوا النحو بمعناه الاصطلاحي . ولهما أقوال تدل على اعتنائهما بالقياس وأن فكرة كون القياس أداة لصنع النحو أمرٌ دار في ذهن كليهما. (5)

نخلص من ذلك إلى أن منهج المدرسة البصرية في النحو قائم على بناء القواعد على الأغلب الشائع من كلام العرب، وعلى تحكيم المقاييس العقلية

---

(1) الاقتراح: ص ٤٥-٤٦.

(2) الإنصاف: ابن الأنباري ص ٥٨-٥٩، ط بريل ١٩١٣.

(3) نزهة الألباء: ص ٢٥ تحقيق محمد أبوالفصل مطبعة المدني ١٩٩٧م.

(4) السابق: ص ٢٣.

(5) الكتاب: ٣٢٣/١.

في كلامهم . وعليه فالدراسة النحوية في البصرة تقوم على تحكيم المقاييس الفعلية في الكثير من كلام العرب، وإذا اصطدم أصل من الأصول بسماع غير مشهور فذع منهجهم إلى التأويل، والتوجيه[١] أو رُمي المسموع بالشذوذ أو النوادر كما ذكرت سابقاً- أو طرح المسموعات التي لا تتفق مع قواعدها الموضوعة مما يقتضى وضع أمثلة تتفق مع الأصول المرسومة.

والحق يقال إن ما ذهب إليه البصريون في منهجهم هذا أمر يستحق التأييد؛ لأن القواعد اللغوية يجب أن تفسر بحل عقلي منطقي فإذا كانت هذه الدقة أهم ما يميز النحو البصري، فلا عجب أن يتأثر بها باقي النحاة والمهتمين بعلم النحو . وهذا ما سيتم توضيحه في الفصل الثالث عند الحديث عن تأثر النحو الأندلسي بالاتجاه البصري في النحو.

---

(١) القياس في النحو العربي: د. سعيد جاسم الزبيدي،ص ٤٧-٤٩ عمان دار الشروق ١٩٩٧م.

ثالثاً: التعليل:

يُعد التعليل مصدراً من مصادر النحو عند البصريين . والحديث عن بداية العلة النحوية يعود إلى عصر النحو الأول . حيث ذكرت بعض المصادر التراثية[١] أن عبدالله بن إسحق الحضرمي هو أول من نهج العلل. بمعنى أن النحو قبل ذلك يفتقر إلى تعليل الأحكام، وقد سار على نهجه عدد من تلاميذه أبوعمرو بن العلاء[٢] وعيسى بن عمر، وقد كانت تلك التعليلات بسيطة في مجملها تدور حول العامل، والمعنى المقصود من القول المعلل، حتى جاء الخليل وأطلق العنان لعقله في التفكير في العلة القائمة خلف هذا القول أو ذلك المعنى. وقد جاءت تعليلاته مدعمة بالأمثلة قصداً إلى التوضيح، وتمكيناً للعلة كما فعل حين قاس المنادى على أسماء الإشارة، وقاس النكرة على أسماء الإشارة والأسماء الموصولة.[٣]

بعد أن نضجت العلة واستوي سوقها عند الخليل، وأصبحت أداة ووسيلة مهمة في الدرس النحوي، وجدت تلك العلة أنصارها ومؤيديها من العلماء، أشهرهم سيبويه تلميذ الخليل الذي أشبع كتابه تعليلاً وقياساً[٤] حتى وصل الأمر بالبعض منهم أن يدافع عن العلة ويرد على من ينتقدها. [٥]

---

(١) نزهة الألباء: ص ٢٠.

(٢) هو زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري أبوعمرو إمام البصرة وقارئها ولد سنة ٧٠هـ توفى بالكوفة سنة ١٥٤هـ الأعلام ٧٢/٣.

(٣) مكانة الخليل بن أحمد في النحو: جعفر نايف عبابنة ص ٩٠ ط ١ دار الفكر للنشر والتوزيع ١٩٤٨م.

(٤) دراسات في كتاب سيبويه: د. خديجة الحديثي ص ٢١١ الكويت وكالة المطبوعات د.ت.

(٥) الخصائص: ١٨٤/١.

عدَّ بعض العلماء والباحثين العلة أصلاً مستقلاً من أصول النحو[١] على حين عدّها غيرهم ركناً من أركان القياس – أي جزء من أصل– وفي مقدمة هؤلاء السيوطي والدكتور خديجة الحديثي من المحدثين وهؤلاء أنكــروا أن تكون العلة أصلاً مستقلاً من أصول النحو.

أما البصريين وفي مقدمتهم سيبويه فقد أوجب العلة النحوية، يناصره في هذا ابن جني في خصائصه[٢] الذي عقد باباً في تخصيص العلل أثبــت فيــه رأي البصريين في جواز التخصيص في العلل – أي إثبات إيجاب العلة للحكم في كل موضع– يوافقه في ذلك السيوطي في الاقتراح. [٣]

توسع البصريون في التعليل إذ طلبوا لكل قاعدة علة، ولم يكتفوا بالعلــة مدار الحكم، بل التمسوا عللاً وراءها، فقد كانت عقولهم مستعدة لأن تســتنبط قواعد النحو وعلله وأقيسته . وهذا ما يفســر دقــة القيــاس وعمقــه عنــد البصريين، مما جعل النحو البصري يُصاغ في أدق صورة علمية كما نــراه عند سيبويه.

ومن أمثلة تعليلات البصريين ما يلي:

كان الخليل يرى أن الإعراب أصل في الأسماء، وأن البناء أصل فــي الأفعال والحروف، وأن الطرفين لا يخرجان عن هذا الأصل إلا لعلة . أمــا الأسماء فإنها تُبني حين تعترضها علة تشبهها بالحروف، والفعل يُعرب حين يشبه الاسم، على نحو ما أعرب المضارع لشبهه باسم الفاعــل مــن حيــث الحركة والسكون، مثل (أخرجُ ومخرج) كما أن الحروف ظلت مبنيــة؛ لأن

---

(١) أصول النحو: لابن السراج ص ١٢١.

(٢) الخصائص: ١/١٤٤-١٤٥.

(٣) الاقتراح: ص ١٢٠.

شيئاً منها لا يشبه الاسم[1] وقال سيبويه في تعليله نصب جمع المؤنث السالم وجره بالكسرة: "جعلوا تاء الجمع في الجر والنصب مكسورة؛ لأنهم جعلــوا التاء التي هي حرف الإعراب كالواو والياء والتنوين بمنزلة النون، لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها".[2]

---

(١) الإيضاح: للزجاجي ص ٧٧ طبعة القاهرة ١٩٥٩م.

(٢) الكتاب:، سيبويه ١٢/١.

الفصل الثاني

النحو الأندلسي

المبحث الأول: دخول النحو إلى الأندلس

المبحث الثاني: أطوار النحو الأندلسي

المبحث الثالث: مذهب النحو الأندلسي

المبحث الأول

دخول النحو إلى الأندلس

دخل الإسلام الأندلس فأقبل أهلها على تعلم العربية وتعليمها، وعلى الارتشاف من معين العلوم الإسلامية التي غذت العالم في عصر بني أمية، الذين حكموا العالم الإسلامي قرابة مئة عامٍ، فنشروا فيه العلم والمعرفة ثم انتقلوا إلى بلاد الفرنجة لمواصلة هذه الجهود هناك. (١)

لقد كان الفتح الإسلامي لتلك البلاد بداية لنشر مختلف العلوم فيها وتخليصها من الجهل والظلمة فانتشرت في تلك البلاد كل العلوم التي كانت سائدة في تلك الفترة من علوم وطب ولغة وغيرها. (٢)

وكان لعلوم اللغة العربية وعلم النحو على وجه الخصوص نصيب عظيم من اهتمام الأندلسيين، وكان ذلك بعد أن استقرت مناهج النحو في المشرق في البصرة والكوفة.

ليس غريباً أن يلقى النحو كل هذا الاهتمام والعناية؛ وذلك لصلته الوثيقة بمصدري التشريع الإسلامي: القرآن الكريم والحديث الشريف حيث غزا اللحن اللغة العربية الفصيحة وأصبح الخطر يقترب شيئاً فشيئاً من القرآن الكريم(٣) فقام أبوالأسود الدؤلي بإرساء قواعد علم النحو بتوجيه من الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه فكانت نشأة النحو العربية مشرقية أو

---

(١) تاريخ الأندلس: يوسف أشباخ، ص ٨١ القاهرة، ١٩٤٠م.

(٢) الفكر التربوي في الأندلس: عبدالبديع الخولي، ص ٤٢ وما بعدها ط ٢، دار الفكر العربي ١٩٨٧م.

(٣) الفكر التربوي في الأندلس: مصدر سابق ص ٣٥.

عربية محضة[١] وبعبارة أدق بصري عراقي[٢] وكان للأندلس حظٌ وافرٌ فيه وكان الأندلسيون –أغلبهم– من قراء الذكر الحكيم فكان كثير منهم يرحلون إلى الشرق لتلقى هذه القراءات ثم يعودون إلى بلادهم لتعليم ما أخذوه من العلماء المشارقة وبسبب الإقبال على القراءات كان علماء الأندلس أكثر إقبالاً على النحو؛ لنشر العربية وعلومها في أوساط الأسبان المستعربين وكانت جمودهم التي يعلمون بها طلابهم عبارة عن نصوص مختلفة من علوم العربية يضعونها لطلابهم ثم يشرحونها ويشبعونها نقاشاً وكانت تلك النصوص بعيدة عن التعقيد ليسهل فهمها وذلك لسببين:

الأول: ويتعلق بالجمل والكلمات التي يدرسونها أو يُدرِّسونها لطلابهم حيث أنها تتكون من كلمات ومفردات هي مكونات الجمل؛ لأن علم النحو يأتي بعد اكتمال الجمل.

الثاني: ويتعلق بالمؤدبين أنفسهم. فهؤلاء المؤدبون لم تكن لديهم معرفة تامة بعلم النحو أو بقواعده، بل كانت معرفتهم محتاجة إلى تعزيز وتدعيم.

بقي الأندلسيون على هذا الحال حتى عرفوا الرحلات إلى المشرق– كما ذكرت– فرحلوا في طلب العلم الشرعي واللغوي وغيرهما من العلوم. [٣]

كان جودي بن عثمان[٤] أول نحاة الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق ودرس النحو العربي على يد ثلة من نحاة الكوفة، وأول من أدخل إلى بلاده كتب الكوفيين، وإن كانت الأندلس قد صبت عنايتها أولاً على النحو الكوفي

---

(١) نشأة النحو: محمد الطنطاوي ص ١٠ دار المنار ١٩٩١م.

(٢) السابق: ص ٢٥.

(٣) تاريخ التعليم في الأندلس:، د. عيسى محمد ص ٤٨، ط ١، دار الفكر العربي، ١٩٨٢م.

(٤) هو جودي بن عثمان مولى آل طلحة رحل إلى المشرق ولقي الكسائي والفراء وغيرهما ترجمته في طبقات النحويين ص ٢٥٦.

فإنها ما لبثت أن أقبلت على النحو البصري، فاحتل كتاب سيبويه عندهم مكان الصدارة من حيث الدرس والحفظ والشرح والتعليق.

لم يكن جودي بن عثمان هو النحوي الوحيد الذي هاجر إلى المشرق طالباً للعلم، بل كان هناك غيره من العلماء مثل عبدالملك بن حبيب السلمي.[1]

تأثر عدد من العلماء المهاجرين إلى المشرق بالعلماء المشارقة ومذاهبهم النحوية كوفية كانت أم بصرية، ثم قاموا بنشرها في بلادهم.

مضت حقبة من الزمن على علماء الأندلس، وهم يأخذون الكتب المشرقية يدرسونها ويُدرّسونها لطلابهم، ثم انتقلوا بعد ذلك لمرحلة أخرى تمثلت في شرح تلك الكتب أو التعليق عليها. وكان كتاب سيبويه أكثر الكتب المشرقية شرحاً وتوضيحاً كما أسلفت.

وبعد أن اشتدت سواعد الأندلسيين النحوية، وجدوا أنفسهم قادرين على تخطي الكتب المشرقية، والانتقال منها إلى مرحلة التأليف والتصنيف، فوضعوا المصنفات النحوية المختلفة التي أصبحت تشكل مصدراً يغنيهم عن الكتب المشرقية التي سادت في بلادهم. فقد شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان ميلاد عدد مقدر من الكتب النحوية في الأندلس، التي وضعها علماء الأندلس نذكر منهم على سبيل المثال هذه الطائفة:

١- جودي بن عثمان يضع كتاباً في النحو.

---

(١) من كبار علماء النحو في الأندلس جمع إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغة والتعريف ترجمته في طبقات النحويين ص ٢٦٠.

٢- أبوبكر بن خاطب[١] له تأليف في النحو.

٣- ابن أبي غزالة[٢] له كتاب آلفه في العربية.

٤- خصيب الكلبي[٣] له كتاب مصنف في اللغة.

٥- يحيى بن عبدالرحمن[٤] الملقب بالأبيض ألف كتاب في النحو أخذه الناس عنه. [٥]

والملاحظ أن هؤلاء العلماء الذين ألفوا في النحو واللغة، لم تذكر المصادر شيئاً عن مؤلفاتهم أو أسمائها[٦] في مقابل ذلك نجد علماء آخرين ألفوا في النحو واللغة، وذكرت لنا المصادر التراثية أسماء كتبهم منها ما عبثت به يد الزمان ففقد، ومنها لا يزال مصدرٌ مهماً من مصادر الدراسات اللغوية والنحوية.

من خلال هذا السرد التاريخي لدخول النحو الأندلس، يتضح لنا أن الأندلسيين اعتنوا بالنحو الكوفي، وقدموه على النحو البصري- كما ذُكر- ولم

---

(١) هو أبوبكر بن خاطب بن مكفوف ذو علم بالعربية والعروض له تأليف في النحو ترجمته في طبقات النحويين ص ٢٧٣.

(٢) هو هارون بن أبي غزالة السبائي ترجمته في طبقات النحويين ص ٢٠٩.

(٣) هو خصيب الكلبي الموروي النحوي اللغوي ذكره الزبيدي في الطبقة الثانية من نحاة الأندلس ترجمته في بغية الوعاة ١/٥٥١.

(٤) هو يحيى بن عبدالرحمن (أبوزكريا) النحوي المعروف بالأبيض كان متقدماً في النحو واللغة توفى سنة ٢٦٣هـ ينظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/٣٣٧ تحقيق محمد ابوالفضل إبراهيم.

(٥) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس: عبدالله بن محمد بن الفرضي ص ٣٣ تحقيق روحية عبدالسلام ط ١ بيروت ١٩٩٧م.

(٦) ذكر محقق طبقات النحويين: محمد أبوالفضل إبراهيم أن اسم كتاب جودي بن عثمان كان "منبه الحجارة" ينظر طبقات النحويين ص ٢٥٦ حاشية رقم ٥.

تكن العناية بالنحو الكوفي من فراغ؛ بل كان أمر له مبرراته وأسبابه، أهمها هو أن المدرسة البصرية التي أسست النحو قبل مئة عام تقريباً من نشأة مدرسة الكوفة التي كانت قد اكتملت آراؤها النحوية، وتبلورت وأصبحت منتشرة في البلاد . ولما جاء الأندلسيون لطلب النحو من المشارقة كان النحو الكوفي وقتذاك في بداياته وكانت الآراء النحوية المطروحة بسيطة غير معقدة تلائم مستواهم العلمي في مجال النحو فأخذوا بها؛ لسهولتها لذلك كان اهتمامهم بالنحو الكوفي متقدماً على البصري في البداية. (١)

كما أن أهل الكوفة أهل شعر ورواية لكلام العرب فكانوا بعيدين عن القوانين والأقيسة العقلية الدقيقة؛ ونتيجة لتشدد نحاة البصرة في القياس نفر نحاة الأندلس المبتدئون من النحو البصري وتعقيداته، ومالوا للنحو الكوفي الميسر . وظل النحو الكوفي في ذلك الوقت مسيطراً على الساحة الأندلسية النحوية لسنوات عديدة، وعندما قويت شوكة الأندلسيين النحوية وجدوا في أنفسهم القدرة على تجاوز النحو الكوفي المختصر، إلى النحو الآخر وهو النحو البصري بقياساته وأحكامه الدقيقة وذلك؛ ليتخلصوا من الفوضى التي يوقعها فيهم النحو الكوفي، باعتماده على قاعدة بمجرد سماع مثال واحد فقط، أو لبيت شعري مجهول النسبة؛ لذلك وجه علماء الأندلس جهودهم نحو البصرة وعلمائها فأخذوا النحو البصري الذي طُبع به نحوهم فيما بعد(٢) وسيرد الحديث عنه لاحقاً.

---

(١) تطور الدرس النحوي بالأندلس: وائل أبوصالح، ص ٢٢٩،جامعة الإسكندرية مصر ١٩٨١م.

(٢) المدارس النحوية: شوقي ضيف، مصدر سابق ص ١٦٢.

فالرأي الذي أورده المؤلف[١] في تطور الدرس النحوي بالأندلس حــول المبررات التي ساقت الأندلسيين للاعتناء بالنحو الكوفي[٢] هو الرأي الراجح عندي ذلك لأن؛ الدارس لعلم من العلوم بطبيعة الحال يتدرج في دراسته من السهل المتيسر إلى الصعب الأكثر دقة وإحكاماً طائعاً أنه من أولى خطواتــه لتلقي هذا العلم.

(١) وائل أبوصالح، تطور الدرس النحوي بالأندلس: ص٢٢٩.

(٢) تطور الدرس النحوي بالأندلس: ص ٢٥٩ مصدر سابق.

المبحث الثاني

أطوار النحو في الأندلس

من طبيعة أي علم من العلوم، أن يمر بمراحل تطور ونمـــو متدرجـــة، ويكون عُرضة لعوامل تساعده على هذا التطور والنمو.

فعلم النحو في الأندلس نما وتطور إلى درجة كبيرة، ومـــا كـــان هـــذا التطور ليأتي صدفة، بل توافر لهذا العلم عدة عوامل ساعدت علـــى نمـــوه وتطوره في تلك البلاد منها:

أولاً: الرحلات العلمية

لقد شهد القرن الثالث الهجري وما بعده تطوراً ملحوظـــاً فـــي ميـــدان رحلات الأندلسيين إلى المشرق. فبعد أن كانت هذه الرحلات مقرونة بـــأداء فريضة الحج، أصبحت هذه الرحلات هدفاً في حـــد ذاتـــه، وغـــدا الطـــلاب يرحلون لأجل العلم وطلبه، كما أن علماء الأندلس لا يكتفون بلقـــاء العلمـــاء المشارقة ليأخذوا العلم عنهم، بل كانوا يخرجون إلى مضارب البادية لأخـــذ اللغة عن الأعراب أخذاً مباشراً. [١]

وتدلنا أسماء العلماء الذين رحلوا إلى الأندلس وحملـــوا معهـــم كتـــبهم المشرقية[٢] أن الثقافة الأندلسية كانت تتغذى على تلك المؤلفات المشرقية، إذ لا يخفى على أحدٍ ما لهذه الرحلات من أثر واضح في تطور النحو الأندلسي، غير أن هذه الرحلات إلى الأندلس لم تُحدث الفائدة العلمية التي كانت تقـــوم بها الرحلات إلى المشرق؛ ويرجع ذلك لقلة المهاجرين إلى الأندلس، مقارنـــة

---

(١) الحركة اللغوية في الأندلس: البير حبيب مطلـــق ص ٥٥ المكتبـــة العصـــرية بيـــروت ١٩٩٧م.

(٢) الحركة اللغوية في الأندلس مصدر سابق ص ٢٩٧.

بالمهاجرين منها إلى المشرق، كما أن هدف هذه الرحلات المتجهة صوب الأندلس لم تكن ذات هدف علمي بحث بل كانت في الأغلب الأعم من أجل التجارة والتكسب والهروب من الظروف السياسية السائدة في تلك الفترة في البلاد الإسلامية[١] ؛ لأن غارات الأسبان المتوالية جعلت الحياة في الأندلس لا تطاق . ولنا أن نقول أن هذه الهجرات- في النهاية- ساعدت على إحياء حركة النحو في الأندلس وانتعاشها.

أيضاً نجد أن المناظرات النحوية، التي كانت تقوم علم الدقة والنظر وقوة الاحتجاج، والتعليل السليم والقياس المنطقي، تعد عاملاً من عوامل التطور في علم النحو وإثراؤه؛ لأنها كانت تتم بين كبار النحاة والعلماء[٢]. كما أن لجهود الحكام في الأندلس وتشجيعهم للعلم والعلماء دوراً كبيراً في تطور الدراسات النحوية؛ لأنهم كانوا على درجة عالية من التعليم. فأنشأوا المكتبات الخاصة والعامة في معظم بلاد الأندلس التي شهدت تنافساً علمياً محموماً بين الحكام لخدمة العلم، فكانت الأندلس منارة العلماء وطِلبة الأدباء وقتذاك . وعليه فقد توافرت للنحو عوامل عدة ساعدت على انتشاره وازدهاره وتطوره في بلادٍ تبعد آلاف الأميال عن الموطن الأصلي للنحو.

ثانياً: أطوار النحو:

كل شيء عندما ينمو ويكبر لابد أن تتوافر له العوامل المساعدة لهذا النمو، كما أن هذا النمو يمر بمراحل وأطوار حتى يشتد سوقه، وتقوم قواعده كذا الحال بالنسبة للنحو الأندلسي فقد نتج عن نموه وتطوره عدة أطوار:

---

(١) الحركة اللغوية في الأندلس: ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) تطور الدرس النحوي في الأندلس: مصدر سابق ص ٣٠.

أولها: إن النحو الأندلسي في طوره الأول كان كوفي النزعة كما أوضحت في المبحث السابق- وذلك بسبب شهرة كتاب الكسائي فيها أولاً، واهتمام أهل الأندلس بهذا الكتاب وعنايتهم به .

ثانيها : بقي الحال كذلك حتى أواخر القرن الثالث الهجري عندما جاء الافشنيق [١]. إليها وكان قد رحل إلى المشرق ودرس كتاب سيبويه في مصر وحمله معه إلى الأندلس وقام بنشره فيها غير أن النحو الأندلسي – فيما بعد- تأثر بالنحو البصري حتى إنه طغى على النحو الكوفي الذي سبق ظهوره هناك .

وثالثها: أصبح النحو في الأندلس ذا اتجاهين: أحدهما بصري والآخر كوفي وفي أوائل القرن الخامس الهجري ظهر النحو البغدادي في الأندلس، وكان له أكبر الأثر في الدراسات النحوية هناك، وفي بدايات القرن السادس الهجري، استقل نحاة الأندلس عن النحو المشرقي، وحاولوا إبراز شخصية مستقلة أو مذهب مستقل للنحو في الأندلس. [٢]

النحو الكوفي في الأندلس:

النزعة الكوفية في النحو الأندلسي يتضح أثرها من خلال اهتمام الأندلسيين بكتاب الكسائي – كما ذكرت- وجاء في كتاب الاتجاهات النحوية في الأندلس[٣] أن التراجم وكتب التاريخ والأدب قد أشارت إلى أن كتاب الكسائي هو أول كتاب في النحو دخل الأندلس إلا أن كتاب سيبويه نال الحظ

---

(١) هو محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد القرطبي، يظن أنه أول من أدخل كتاب سيبويه إلى الأندلس، أشهر مؤلفاته، (طبقات الكتاب)، توفي بقرطبة سنة ٣٠٧هـ، ينظر ترجمته في طبقات النحويين ص ٣٠٥.

(٢) خصائص مذهب الأندلس النحوي: عبدالقادر رحيم الهيتي ص ٣٦ منشورات جامعة قار يونس ط ٢ بنغازي ١٩٩٣م.

(٣) الاتجاهات النحوية في الأندلس: د. أمين السيد ص ١١٢ دار العلوم القاهرة د.ت.

الأوفر من العناية والمدارسة والاهتمام وقد ذكر صاحب كتــاب الاتجاهــات النحوية في الأندلس أن هناك شُراحاً لكتاب الكسائي[١] الذي أدخله جودي بن عثمان إلى الأندلس.

وخلاصة القول أن النحو الكوفي ظهر في الأندلس قبل النحو البصـــري وإنه بقى مؤثراً في نحاة الأندلس حتى بعد ظهور مذهب الأنـــدلس النحـــوي ويتمثل ذلك في آراء كثير من النحاة الذين يميلون ويرجحون آراء الكوفيين.

النحو البصري في الأندلس:

بدأ النحو البصري عندما ظهر كتـــاب ســـيبويه علـــى يـــد الافشـــنيق القرطبي[٢] . وليس المعنى هنا أن كتاب سيبويه لم يكن موجوداً في الأندلس، وما من شك في أن هذا الكتاب أخذ طريقه إلى الأندلس، وأن أهل الأنـــدلس عنوا بهذا الكتاب عناية فائقة، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هـــو معرفـــة الزمن الذي دخل فيه هذا الكتاب إلى الأندلس، والشخص الذي أدخله. علـــى الرغم من أن كثيراً من الروايات أشارت إلى أن الافشنيق هو من أتي بهـــذا الكتاب إلى الأندلس.

إلا أن صاحب كتاب تاريخ آداب العرب أشار إلى أنه لا يعـــرف أول من أدخل هذا الكتاب إلى الأندلس. [٣]

---

(١) وهم "الجرمي، والبغل، ودريود، وأحمد بن أبان" يُنظر الاتجاهات النحوية لأمين الســـيد ص ١١٢.

(٢) هو محمد بن موسى بن هاشم بن يزيد القرطبي يُظن أنه أول من أدخل كتاب سيبويه إلى الأندلس أشهر مؤلفاته "كتاب طبقات الكتاب" توفى بقرطبة سنة ٣٠٧هـــ ترجمتـــه فـــي طبقات النحويين ص ٣٠٥.

(٣) تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي ٣٣٢/٣ مطبعة الاستقامة د.ت.

رجحت كثير من المصادر أن كتاب سيبويه أشتهر بعد وصول الافشينق إلى الأندلس، [1] وأن نحاة الأندلس عنوا بكتاب سيبويه، حتى إنه كان الدعامة الكبرى للدراسات النحوية في الأندلس، منذ أن بدأ النحو يظهر على مسـرح الثقافة العربية.

وقد اشتهر نفرٌ من النحويين بحفظ هذا الكتاب والإلمام به "فمن أقدم من وقفنا عليه لمن حفظوا كتاب سيبويه هو حمدون النحوي المتوفى بعد المائتين وفي القرن الثالث كان من أشهر حفاظه الافشين القرطبـي المتـوفى سـنة ٣٠٩هـ وقد أخذه في عصره عن أبي جعفر الدينوري رواية"[2] .

هذا وقد ظل كتاب سيبويه هو ذلك الفلك الذي تدور حولـه الدراسـات النحوية في الأندلس. وبلغ الأمر بالأندلسيين أنهم قرروا أن من لم يقرأ كتاب سيبويه لا يعرف شيئاً. وعابوا على أحمد بن عبدالنور النحوي[3] المتوفى سنة اثنين وسبعمائة من الهجرة أنه لا يقرأ الكتاب. [4]

قال الأستاذ على النجدي: (رجعت إلى بغية الوعاة وكشف الظنون أتتبع دراسات الكتاب واستوعبها إحصاءً وعدّاً فإذا للأندلس وما يسامتها مـن بـر المغرب قرابة أربعين مؤلفاً)[5] وهذا يدل على أن نحاة الأندلس جدّوا وتحملوا

(١) ينظر خصائص مذهب الأندلس: مصدر سابق ص ١١٢ وما بعـدها وتطـور الـدرس النحوي ص ٩٨.

(٢) تاريخ آداب العرب: للرافعي،مصدر سابق، ٣٣٢/٣.

(٣) أحمد بن عبدالنور بن أحمد بن راشد أبوجعفر المالقي المالكي ، مقرئ عارف بالعربيـة، ألف كتاب التحلية والبسملة ، والتصلية ، توفي ٧٠٢هـ ، ينظر : غاية النهاية: ، محمـد بن محمد بن الجزري ، ٧٧/١.

(٤) بغية الوعاة: ١٤٣.

(٥) سيبويه إمام النحاة: علي النجدي ص ١٨٧ طبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٣م.

المشاق ورهق السفر إلى المشرق للحصول على كتاب سيبويه حفظاً أو تلقياً على أحد أساتذة النحو هناك.

وعليه نجد أن النحو البصري كان له أثر كبير على نحاة الأندلس، وكان طاغياً على النحو الكوفي على مر العصور حتى في القرن السابع الهجري[1]. إلا أن هذا لا يعنى أن النحو الكوفي اندثر كل الاندثار بل كان أقل تأثيراً مقارنة بالنحو البصري.

النحو البغدادي في الأندلس:

كان له أثر في نحاة الأندلس "فإننا لا نصل إلى ابن سيده حتى ينغمس نحاة الأندلس في النحو البغدادي بجانب انغماسهم في النحو البصري والكوفي".[2]

وقد أخذت الدراسات النحوية تزدهر في عصر ملوك الطوائف، فقد خالط نحاتها غيرهم من نحاة البصرة والكوفة وبغداد، فإذا هم ينتهجون نهج البغداديين، ويسيرون في اتجاههم من كثرة التعليلات والنفوذ إلى بعض الآراء الجديدة.

ويظهر اهتمام الأندلسيين باتجاهات بغداد النحوية من خلال اهتمامهم بكتب نحاتها، وقد ظهر هذا الاهتمام بصورة واضحة، خلال القرن الخامس الهجري واستمر حتى القرن السابع الهجري. [3]

وممن اهتموا بكتب نحاة بغداد:

---

(١) خصائص مذهب الأندلس النحوي: مصدر سابق ص ٤١.

(٢) نشأة النحو: الطنطاوي مصدر سابق ص ١٩٦.

(٣) خصائص مذهب الأندلس: مصدر سابق ص ٤٢ ومدرسة بغداد النحوية: د. إبراهيم نجا ص ٢١٧ رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر د.ت.

- ابن سيدة على بن أحمد بن سيدة اللغوي النحوي الأندلس أبوالحسن الضرير صنف كتاب "المحكم" و"المحيط الأعظم" في اللغة وشرح كتاب الأخفش وله كتب أخرى كثيرة وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين وأربعمائة من الهجرة. (١)

- الأعلم الشنتمري: يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنتمري المعروف بـ "الأعلم" له عدة مصنفات منها "شرح جمل الزجاجي" وشرح شواهد كتاب سيبويه وغيرها من المصنفات كانت وفاته سنة ستة وسبعين وأربعمائة من الهجرة. (٢)

- السهيلي: هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أصبغ بن حبيش السهيلي الأندلسي، كان عالماً بالعربية، واللغة والقراءات، نحوياً متقدماً وأديباً. كانت وفاته في العقد التاسع بعد المائة الخامسة للهجرة. (٣)

لابد أن نشير هنا إلى أن أحد الباحثين قد قسم أطوار النحو الأندلسي تقسيماً آخر تناوله من حيث الميقات الزماني فقال: "والرأي عندي أن نقسم الأطوار إلى عصور ثلاثة"(٤) وهي:

- **عصر الجمع والتكوين:** ويبدأ من فجر تاريخ هذا العلم إلى نهاية القرن الخامس الهجري.

- **العصر الذهبي للإنتاج النحوي:** وهو في القرنين السادس والسابع الهجريين.

- **عصر التشتت والتفرقة:** وذلك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

---

(١) الديباج المذهب: ابن فرحون ص ٢٠٦ مطبعة السعادة ١٣٢٩هـ.

(٢) بغية الوعاة: ٣٥٦/٢.

(٣) أنباه الرواة: للقفطي ١٦٢/٢ تحقيق محمد أبوالفضل دار الفكر القاهرة ط ١، ١٩٨٦م.

(٤) الاتجاهات النحوية في الأندلس: د. أمين السيد ص ١٤٣.

فالقرن السابع الهجري في نظـــر القـــدامى والمحـــدثين يمثـــل أعلـــى المستويات التي وصلت إليها علوم العربية[1] للأسباب التي جاء ذكرها فـــي أول هذا المبحث.

(١) ينظر الإسلام في أسبانيا: ص ٧٤ ونفح الطيب ١/٢٠٦، ٩٨.

المبحث الثالث

مذهب النحو الأندلسي

تناولت في المبحث الأول من الفصل الأول في هذا البحث حديثاً مفصلاً عن مفهوم المدرسة النحوية والتمييز بين المدرسة النحوية والمذهب النحوي.

وخلصنا إلى أن المدرسة النحوية مصطلح يشير إلى اتجاهات ظهـرت في دراسة النحو العربي، اختلفت في تناولها وأسلوب عرضـها، ومعالجتها لبعض المسائل النحوية الفرعية.

أما كلمة مذهب فتطلق على الطريقة التي سار عليها أحد النحاة أو جمهرة من النحويين.

إن حقيقة وجود مذهب أندلسي في النحو العربي، تعد قضية من القضايا التي تناولها الباحثون المهتمون بالتراث الفكري الأندلسي.

كان أكثر المهتمين بهذا الأمر أمين السيد في محاولته لإثبات أصالة وجود مذهب الأندلس النحوي متناولاً أقوال الباحثين القدامى والمحدثين. (١)

والواقع أن الأندلسيين كانت لهم عناية فائقة بالنحو، فحاولوا من خلال جهودهم النحوية استحداث مذهب جديد، عُرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين. (٢)

كان أبوحيان(٣) قد أثبت وجود مذهب أندلسي نحوي، عندما تعرض لقضية الاستشهاد بالحديث النبوي في قوله: "... على أن الواضعين الأولين

---

(١) الاتجاهات النحوية في الأندلس: مصدر سابق ص ٥٢٤.

(٢) نشأة النحو: ص ١٠٥ مصدر سابق.

(٣) التذييل والتكميل: لأبي حيان ١٦٨/٥ دار الكتب المصرية د.ت.

لعلم، النحو المستقرئين الأحكام من لسان العرب والمستنبطين المقاييس كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين وكمعاذ والكسائي والفراء وعلى بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين – لم يفعلوا– وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفرقتين وغيرهم من نحاة الإقليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس"(١).

كذلك من الذين أثبتوا وجود مذهب الأندلس النحوي ابن خلدون حينما قال في معرض حديثه عن علم العربية: "والتآليف في هذا الفن كثيرة وطرق التعليم مختلفة بين البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين"(٢) كما أن صاحب نفح الطيب قد ذكر ثبتاً طويلاً من علماء المذهب الأندلسي قائلاً: "وأما كتب النحو فلأهل الأندلس من الشروح على الجمل ما يطول ذكره فمنها شرح ابن خروف ومنها شرح الرندي وشرح شيخنا ابن عصفور....". (٣)

هذا ما أشار إليه الباحثون القدامى في حديثهم عن وجود المذهب الأندلسي النحوي أما الباحثون المحدثون فالغالبية منهم اعترفوا بوجود مذهب أندلسي في النحو فقد جاء في كتاب تاريخ الفكر الأندلسي فصلا كاملاً عن المذهب الأندلسي(٤) وينضم لهذه القضية كل من الأستاذ أحمد أمين(٥) وأحمد حسن الزيات(٦) وسعيد الأفغاني(٧) في أول كلامه عن المدرسة الأندلسية النحوية ثم قِفل متراجعاً عن قوله مشككاً في وجود مذهب نحوي في

---

(١) التذييل والتكميل لأبي حيان الأندلسي : ١٦٧/٥ دار الكتب المصرية، د.ت .

(٢) المقدمة: ابن خلدون، ص ٢٩٤ طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٠م.

(٣) نفح الطيب: المقري ١٨٠/٧، طبعة ١٩٤٩م.

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي: انجل بلانثيا ص ١٨٥-١٨٦ طبعة النهضة العربية القاهرة ١٩٥٥م.

(٥) تاريخ الإسلام السياسي: حسن إبراهيم ٩١/٣-٩٨ طبعة النهضة المصرية ١٩٦٥م.

(٦) تاريخ الأدب العربي:، أحمد حسن الزيات ص ٣١٠ مطبعة الاعتماد القاهرة ١٩٣٠م.

(٧) أصول النحو: سعيد الأفغاني ص ٢٦١ ط ٢ مطبعة الجامعة السورية ١٩٥١م.

الأندلس[١] . وقد تأرجح شوقي ضيف في وجود وإثبات مذهب نحــوي فــي الأندلس، ما بين الإنكار لوجود هذا المذهب والاعتراف بوجوده. [٢]

أما الدكتور أمين السيد فقد أثبت وجود مذهب نحوي فــي الأنــدلس[٣]، وتبعه في ذلك آخرون كما سبقه كثيرون[٤]، فهؤلاء جمــيعهم أيّــدوا وجــود مذهب نحوي في الأندلس، بخلاف المعارضين لوجود هذا المذهب، كمــا أن الباحثين في التراث الفكري الأندلسي اختلفوا في تحديد بداية ظهور المــذهب الأندلسي في النحو، فتعددت أقوالهم وآراؤهم، فذهب بعضهم إلى أن ظهــور هذا المذهب كان في النصف الأول من القرن الخامس الهجــري[٥] . ويــرى آخرون أنه ظهر في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري.

وقد أشار شوقي ضيف إلى أن "الأعلم الشنتمري هــو أول مــن نهــج أصول النحو لنحاة الأندلس"[٦] . وفي نفح الطيب[٧] إشــارة إلــى أن النحــو الأندلسي بلغ قمته في القرن السابع الهجري وأن نحاته أصبحوا يضاهون أئمة النحو في المشرق.

---

(١) تاريخ النحو: ص ٦٥، ٦٦ مصدر سابق.

(٢) المدارس النحوية: ص ٢٨٨-٣٢٦.

(٣) الاتجاهات النحوية في الأندلس: ص ٢٢٤.

(٤) مدرسة الكوفة: ص ١٠٠٤ مصدر سابق – نشأة النحو: ص ١٩٨.

(٥) نشأة النحو: ص ١٩٨ مصدر سابق.

(٦) المدارس النحوية: ص ٢٨٨-٣٢٦.

(٧) نفح الطيب: ٢٠٦/١ مصدر سابق.

يذهب أحد الباحثين إلى أن علوم العربية قد انتهت لنحاة الأنـدلس فـي القرنين السابع والثامن من الهجرة[1]. ومعنى هذا إن هذه الآراء المتعددة قـد أقرت في نهايتها بوجود مذهب نحوي أندلسي وإن اختلفـت الروايـات فـي الميقات الزماني لظهوره. ويرجح أحدهم[2] أن المذهب الأندلسي في النحو قد ظهرت معالمه في أقدم مؤلف يحمل اسم "الواضح في علم العربية" لأبي بكر الزبيدي تحقيق الدكتور أمين السيد، وأن هذا المذهب نما وازدهر في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، واكتملت معالمه في القرن السابع الهجري.

والرأي الراجح عندي أن القرن السابع الهجري هو الفترة التـي نضـج فيها النحو، وقويت دعائمه، فهو يمثل الفترة القوية للمذهب الأندلسـي فـي النحو. وهذا ما لمسته عند الباحثين القـدامى والمحـدثين فـي كثيـر مـن المصادر[3]، حيث أشاروا إلى أن القرن السابع الهجري، هو الفترة الذهبيـة التي بلغت فيها الدراسات النحوية قمة الازدهار تأليفاً، وتصنيفاً وشـروحاً ، مما أثري المكتبة العربية بالكثير من المؤلفات والمصنفات في علم العربية . وبالتالي أصبح للمذهب الأندلسي معالم واضحة، وطريق بيِّن اختطاه النحـاة لأنفسهم بعقولهم ومقدراتهم، في محاولة منهم لوضع أسـس وسـمات تميـز مذهبهم هذا عن نحو السابقين واللاحقين.

---

(١) الإسلام في أسبانيا: د. لطفى عبدالبديع ص ٧٤ طبعة القاهرة ١٩٦٩م.

(٢) عبدالقادر رحيم الهيتي خصائص مذهب الأندلس النحوي ص ٥٦.

(٣) ينظر نفح الطيب: ٢٠٦/١ والاتجاهات النحوية في الأندلس: ص ٢٤٤ والإسـلام فـي أسبانيا: ص ٧٤.

معالم المذهب الأندلسي:

تتضح معالم المذهب الأندلسي في الاتجاهات الآتية:

أولاً: في موقفهم من التعليل: فقد دعوا إلى الاجتهاد والاكتفاء بالعلة الأولى وإسقاط ما دونها التي تدل على الإسفاف والتقصي والتفريع والمبالغة وإجهاد الذهن. [1]

ثانياً: اتجاههم إلى التيسير[2] فقد كانوا يسعون إلى تيسير العربية وتذليل الصعاب ليسهل تعلمها وتملكها عن طريق شرح كتب النحو المطولة ووضع المختصرات النحوية السهلة التناول.

ثالثاً: موقفهم من القراءات وكثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف الذي كان أحد سمات المذهب الأندلسي وإن كان قد سبقتهم بعض المدارس.

والحديث عن موقفهم من القراءات والاستشهاد بالحديث والتعليل سيرد الحديث عنه مفصلاً في المباحث التالية لهذا الفصل.

أثر المذاهب الفقهية على مذهب الأندلس النحوي:

تأثر النحو الأندلسي بمذهبين من مذاهب الفقه الإسلامي هما: المذهب المالكي والمذهب الظاهري.

نشأ المذهب المالكي في المدينة، ثم انتشر في الحجاز والبصرة ومصر وبلاد المغرب والأندلس والسودان وفارس واليمن والشام[3]، وكان المذهب المالكي يعتمد اعتماداً كبيراً على الحديث النبوي الشريف، وكان لهذا المذهب أثر بالغ في سمات النحو الأندلسي، وهي سمة كثرة الاستشهاد بالحديث. [4]

---

(١) خصائص مذهب الأندلس: ص ١٦٨ مصدر سابق.

(٢) السابق: ص ٢٣٧.

(٣) الكامل: ابن الأثير ٩/٩٥ طبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٠٣هـ.

(٤) بغية الملتمس: الضبي ص ٣١١ طبعة مدريد ١٨٨٤م.

أما المذهب الظاهري فهو مذهب يأخذ بظاهر النصوص إذ إنـــه يأخـــذ الأحكام من ظواهر النصوص من غير تعليل لها.

وقد نشا المذهب الظاهري في المشرق أولاً في القرنين الثالث والرابـــع الهجريين، ثم خبأ ضوءه في القرن الخامس الهجري ليحيا ويصبح قوياً فـــي بلاد الأندلس، وكان ذلك بتصدي عالم قوى في تفكيره ذلكم هو الإمـــام ابـــن حزم الأندلسي(١) الذي خلّد هذا المذهب في كتبه وبثه – إلى حدٍ مـــا– بـــين تلاميذه الذين نشروه في أرجاء البلاد.

كما أن أصول المذهب الظاهري هذا لم تكن واضحة كل الوضـــوح إلا بعد الإمام ابن حزم. (٢)

وكان ابن حزم لا يعتمد فيما يستنبط من أحكام فقهية إلا على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، ولا يتجاوز ذلك ولم يكن عنده للعقل مجال مطلقاً وراء النصوص، ووراء ظاهرها، فليس هناك اجتهاد بالقياس ولا الذرائع. (٣)

ومن ذلك نفهم أن المذهب الظاهري يبطل القياس والتعليل، ويبدو أثـــر هذا المذهب في النحو العربي عند ابن مضاء القرطبي(٤) في كتابه "الرد على

---

(١) هو أبومحمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري كان فقيهاً حافظاً ولد سنة ٣٨٤هـــ وتوفى سنة ٤٥٦هـــ وله عدة مؤلفات منها الأحكام، الفصل في الملل والتقريب ينظر ترجمته في نفح الطيب ٩٦/٢ والأعلام ٢٥٥/٤.

(٢) محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية: لأبي زهرة القاهرة ١٩٦٢م.

(٣) السابق: ٣٩٨ محاضرات في تاريخ المذاهب الفقهية، والإحكام في أصول الأحكام: ابـــن حزم ص ٤٤/١، ١/١٤ و ٥٥/٦–١٧٨ عني بتصحيحه أحمـــد محمـــد شـــاكر مطبعـــة الخانجي مصر ط ١، ١٣٤٦هـــ.

(٤) هو أحمد بن عبدالرحمن بن محمد ولد بقرطبة سنة ١١١٨م وتوفى باشبيلية سنة ١١٩٦م عالم بالعربية من مؤلفاته "تنزيه القرآن" و"الرد على النحاة" ينظر ترجمته في بغية الوعاة ٣٢٣/١.

النحاة" الذي طالب فيه بإلغاء العوامل وإلغاء العلل الثواني والثوالث وإلغاء القياس والتقديرات والتأويلات من النحو العربي.[1]

كما إن أثر المذهب الظاهري يتضح أيضاً في المذهب الأندلسي في نحو أبي حيان وموقفه من التعليل.

---

(١) مقدمة الرد على النحاة: شوقي ضيف ص ١١، ٢٢، ٢٣ طبعة القاهرة ١٩٤٧م والرد على النحاة لابن مضاء ص ٨٦ طبعة دار الفكر ١٩٤٧م.

الفصل الثالث

أثر المدرسة البصرية في أصول النحو الأندلسي

المبحث الأول: **السماع**

المبحث الثاني: **القياس**

المبحث الثالث: **التعليل**

المبحث الرابع: **أثر المذهب البصري في اختيارات نحاة الأندلس**

المبحث الأول

السماع

السماع في اللغة صنو القياس، فكما يعتمد بعض اللغة على القياس يعتمد بعضها على السماع، ولا يكون للقياس فيه دور. وجاء في المنصف "إن من اللغة ما لا يؤخذ إلا بالسماع ولا يلتفت فيه إلى القياس، وهو الباب الأكثر نحو قولهم: (حجر) و(رجل) فهذا مما لا يقوم عليه بقياس بل يرجع فيه إلى السماع".(١)

وفي الاقتراح يعنى بالسماع "ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن وكلام نبيهﷺ وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين، نظماً ونثراً عن مسلم أو كافر فهذه ثلاثة أنواع لابد في كل منها من الثبوت. (٢)

أما كلام الله تعالى فقد استدل به علماء النحو في إثبات قواعدهم، وقد جاء الحديث عنه في مبحث مصادر النحو البصري في هذا البحث.

وأما كلام النبيﷺ فلم يعنوا به في الاستشهاد، وقد أرجع السيوطي(٣) ذلك إلى أن الرواة قد جوزوا النقل بالمعنى، فنجد حديثاً واحداً قيل في زمانه لم يُقل بتلك الألفاظ جميعها فرُوى بألفاظ متشابهة تحمل نفس المعنى نحو ما

---

(١) المنصف في شرح تصريف المازني: أبوالفتح عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى ٣/١، ط ١ مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٥٤م.

(٢) الاقتراح: للسيوطي ص ٣٦.

(٣) الاقتراح: ص ٤١-٤٧.

روى من قوله: (زوجتكها بما معك من القرآن) و(ملكتكها بما معك)، •خذها بما معك). [1]

كما أن اللحن قد وقع كثيراً في ما روى من أحاديث؛ لأن كثيــراً مــن الرواة كانوا غير عرب . فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك؛ لعــدم معرفتهم بصناعة النحو ولسان العرب.

ومما عرضناه في المباحث السابقة اتضح لنا أن الكوفة اهتمــت بــأمر السماع اهتماماً بالغاً، وتوسعت فيه . ومردُّ ذلك أنها كانت أكبر مدرسة لقراءة القرآن وخرج منها ثلاثة من القراء السبعة المشهورين . كما ازدهرت فــي الكوفة- إلى جانب ذلك- رواية الأشعار، والأخبار وكانوا أعلم بالشعر مــن أهل البصرة[2] ، فشجعهم إمامهم الكسائي بعد أن رحل إلى البادية، وسمع من الأعراب الموثوق بهم، ولم يقتصر على ذلك بل أخذ بمختلف البيئات اللغوية واللهجات التي ثبتت عندهم سلامة وفصاحة عربيتها.

فقد احتج الكسائي بلغة أعراب سواد بغداد[3] من أعراب الحطمية علــى سيبويه في ما يُعرف بالمسألة الذنبورية حين قال يحيى بن خالد البرمكــي[4] الذي جرت المناظرة في مجلسه "لقد اختلفتما وأنتما رئيسا بلــديكما فمــن ذا

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح، باب عرض المرأة نفسها لصالح الرجل وفتح الباري: ج ٩ حديث رقم ٥١٢١.

(٢) الخصائص: ٣٨٨/١.

(٣) مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري تــأليف د. ســفيان صلاح، ص ٩٧، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ٢٠٠٥م.

(٤) هو يحيى بن خالد أبوالفضل الوزير مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه سُجن في الرقة إلــى أن مات الرشيد ولد سنة ١٢٠هـــ وتوفى سنة ١٩٠هـــ ترجمته فــي أعــلام الزركلــي ١٤٤/٨، والبداية والنهاية ٢٠٤/١٠.

يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هذه العرب في بابك قد جمعتهم من كل أوب ووفدت عليك من كل صقع، وهم فصحاء الناس وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم فيُحضرون ويُسألون فقال يحيى: قد أنصفت فأمر بإحضارهم فدخلوا وسُئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله. (١)

فلذلك قال أبوزيد: قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى بن عمر والخليل وغيرهما وأخذ منهم نحواً كثيراً ، ثم صار إلى بغداد فلقي أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله".(٢)

أما أهل البصرة فلا ينقلون عنهم، ولا يروون؛ لعدم وثوقهم بهم وفي ذلك يقول السيرافي: "ولا نعلم أحداً من علماء البصريين بالنحو واللغة أخذ عن أهل الكوفة شيئاً من علم العرب إلا أبا زيد فإنه أخذ عن المفضل الضبي".(٣)

أما نحاة الأندلس فقد اهتموا بأمر السماع واستندوا إليه في بعض المسائل النحوية، باعتباره جزءاً أصيلاً من الأصول النحوية، واشترطوا في الراوي أن يكون ثقة، فإذا توافر فيه ذلك كان ما جاء به حجة قاطعة لا تُرد.

والنحاة جميعهم اعتمدوا على المسموع بالرواية من اللغة الفصحى، وإن كُنا لم نعرف لهم اتصالاً مباشراً بلغة الكلام الحية إلا ما كان من مشافهة

---

(١) معجم الأدباء: ١٧٤٥/٤، ١٧٤٦.

(٢) معجم الأدباء: ١٧٤٤/٤ وياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس دار العرب الإسلامي بيروت ط ١، ١٩٩٣م.

(٣) أخبار النحويين البصريين: للسيرافي ص ٥٦،٥٧ تحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاستقامة ط ١٩٨٥،١م.

أعراب القبائل من خلال اللقاءات والمناظرات والمدارسات ثم يحوّلــون مـــا سمعوه إلى نص مكتوب.

والسؤال المتبادر للذهن هنا هو: هل أخذ النحاة البصريون هذا المسموع من جميع ما كان معهم من النصوص؟ أم إنهم فرّقــوا بــين نــص وآخــر لاعتبارات يفرضها منهجهم؟.

الواضح- وبالنظر إلى المصادر النحوية- أن النحاة كانوا ينظرون فــي أمر الفصيح، وغير الفصيح بمعايير الزمان والمكان والمجتمع علــى النحــو التالي:

أولاً: الانتقاء الاجتماعي للمستوى اللغوي، الذي يُختار منه المسموع وقد اختار النحاة اللغة الأدبية؛ لأنها تبدو واحدة على ألسنة العرب، إضافة إلــى أنها لغة القرآن، والحديث والشعر. فإذا كان النحو نشأ للحفاظ على القــرآن فالأولى أن يستخرج من القرآن.

ثانياً: الانتقاء المكاني لعدد من القبائل في أواسط جزيرة العرب، وأفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم[١]، ولكن النحاة تجاوزوا ذلك، واختاروا قيساً وأسداً وطيئاً وهذيل.

ثالثاً: الانتقاء الزماني لعصر يسمى الفصــاحة، يجــوز الســماع مــن نصوصه والاستشهاد بها؛ ولذا يسمى عصر الاستشهاد.

وكان النحاة يسمون المادة المسموعة "الفصيح"، ويقصدون بذلك الــنص المأثور، الذي يتسم بالنقاء اللغوي، ويقتضي ذلك أن يكون قائلها من العــرب الفصحاء .

---

(١) المزهر: السيوطي، ٢١٢/١.

ولقد كان السعي إلى الاستدلال بكلام العرب المسموع من الفصحاء، هو الذي دعا رواة اللغة للرحلة إلى الصحراء، ويقولون إن الاستماع إلى العرب بدأ مبكراً، وينسبون ذلك إلى سائر متقدمي الرواة أمثال عبدالله بن أبي إسحق، وعيسى بن عمر، وأبوعمرو بن العلاء .

وجد النحاة أنفسهم ينظرون إلى المسموع، وفي أيديهم أصول ثابتة يقيسون عليها، ويتخذونها معايير حتى بالنسبة لما يقوله الفصحاء . ومعنى ذلك أن الفصاحة لم تعد هي المعيار الوحيد للقبول عند النحاة، إنما أضافوا إليها معياراً آخر، ذلك هو القواعد النحوية التي ربما رفضت بعض الفصيح ووصفته بالشذوذ. (١)

من خلال هذا السرد يتضح أن السماع أو النصوص المسموعة التي اعتمد عليها النحاة، موزعة بين القرآن، والحديث، وكلام العرب من شعر ونثر. ولم يخرج نحاة الأندلس عما سار عليه الأقدمون في الاعتماد على المسموع من كلام العرب في أصولهم النحوية.

فنراهم يرجحون كثيراً من الآراء؛ لمجيئها من القرآن أو الحديث أو الشعر كما نراهم يرجحون رأياً، أو يقولون به لمجيئه في القرآن، كما فعل ابن أبي الربيع في مسألة (احتمال المضارع زمني الحال والاستقبال)(٢) في

---

(١) الأصول: د تمام حسان ص ٥٦، ط ١ دار الثقافة الدار البيضاء، ١٩٨١م ينظر أصول النحو: دراسة في فكر الأندلس د. محمد سالم صالح ص ٨٦ دار السلام، مصر، ط ١، ٢٠٠٦م.

(٢) هو عبدالله بن أبي العباس أحمد بن الحسين المعروف بابن أبي الربيع كان مقرئاً وفقيهاً، نحوياً ولد سنة ٥٩٩هـ وتوفى سنة ٦٨٨هـ من مؤلفاته الإفصاح في شرح الإيضاح:ينظر ترجمته في بغية الوعاة ١٢٥/٢.

قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾[1] فيحزنني فعلٌ يُفيد الاستقبال؛ لاستناده إلى متوقع وكذلك ابن عصفور في حديثه عن (وقوع جواب لما مضارعاً أو جملة اسمية).[2]

ونجد نحاة الأندلس- أيضاً - يقولون برأي دون غيره؛ لوروده في كلام العرب، ويردّونه إذا لم يُسمع عنهم شاهدٌ لذلك الرأي . كما فعل ابن خروف في إجازته ترخيم المستغاث مطلقاً[3] كما في قول الشاعر:

تَمنّاني ليقتلني لقيطٌ * أعامٌ لك ابن صعصعة بن سعد[4]

فاستغاث بـ (عامر) من غير زيادة ورخّمه.

أما ما ردّوه لعدم السماع فمنه: ما رآه ابن مالك في عدم إجازته التوسع في الظرف عندما يكون عامله متعدياً لثلاث لقوله: (لم يُسمع من ذلك شيء في باب أعلم فلا يحكم فيه بجواز ذلك المجاز لعدم سماع ما يترتب عليه).[5]

مما سبق ذكره يتضح أن نحاة الأندلس اعتمدوا على السماع كما اعتمدوا على القياس في جهودهم النحوية والتأصيل لها وفاقاً للبصريين.

وقد كانت النصوص المسموعة عندهم موزعة بين القرآن والحديث وكلام العرب وسيأتي الحديث عن استشهادهم بهذه النصوص في الفصل الرابع تحت عنوان الاحتجاج اللغوي عند نحاة الأندلس.

---

(١) سورة يوسف الآية ١٣.

(٢) المقرب: لابن عصفور ١/١١٧.

(٣) الهمع: ١/١٨١ وشرح الجمل ٢/٧٤٥ لابن خروف تحقيق سلوى محمد عرب جامعة أم القرى مكة ١٤١٩هـ.

(٤) الدرر: ١/١٥٨ والبيت مجهول النسبة في الدرر ولابن شريح الكلابي في الكتاب ٢/٢٣٨ والهمع ١/١٨١.

(٥) التسهيل: لابن مالك ص ٥٩.

المبحث الثاني

القياس

عاش المسلمون في الأندلس ما يقارب الثمانية قرون، وحّد الإسلام خلالها صفوفهم وجمع أشتاتهم، وأوجد لهم الشخصية المستقلة حتى غدت أرضهم قبلة العلوم، ونبغ فيها من العلماء والحكماء ما يُفاخر بهم على مر العصور. فكانت لجهودهم العلمية الثرة، انعكاسات واقعية أثرت في ميدان الحِراك الفكري والعلمي، فحاولوا من خلال هذه الجهود الاستقلال بمذهب نحوي يظهر شخصياتهم، وجهودهم العلمية، فكان منهجهم النحوي يقوم على التوفيق بين المذهبين البصري والكوفي، كنحو ابن مالك بعضه كوفي والبعض الآخر بصري، وبعض النحو الأندلسي يميل إلى اصطناع نحو لا هو بصري ولا هو كوفي، مثل كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي.

لكن الأندلسيين لم يختلفوا عن المذهب البصري أو الكوفي في الأصول، بل كان الخلاف في الفروع؛ لهذا رأيت أن أتناول في هذا الفصل أصول النحو البصري، ومدى تأثر هذه الأصول بالمذهب البصري . وقد تحدثت في المبحث السابق عن السماع وسوف أتناول في هذا المبحث القياس.

القياس:

القياس في اللغة يعنى التقدير "قاس الشيء" يقيسه قيساً وقياساً. (١)

والقياس في الاصطلاح: حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه(٢) وقد وردت فيه تعريفات عدة.

---

(١) لسان العرب: ٣/٢٠٠ مادة (قيس).

(٢) القياس في النحو العربي: د. سعيد جاسم الزبيدي ص ٨٠ ط ١، دار الشروق عمان ١٩٩٧م.

كان البصريون أسبق من الكوفيين إلى دراسة اللغة والنحـــو، اســـتقراءً وتقعيداً، وتأليفاً. وقد امتاز منهجهم بابتناء القواعد على الأكثر الشائع من كلام العرب، ولا يلتفتون إلى كل مسموع، ولا يجيزون إلا ما أخذوه من القبائـــل الست، تاركين ما عداها[١]. مما جعل الباحثين يعدون المذهب البصري مذهب قياس، والكوفي مذهب سماع[٢].

جاء في كتاب تاريخ النحو أن المذهب الكوفي لا هو مـــذهب ســـماع صحيح ولا مذهب قياس منظم[٣] لكن أرى أن البصريين- فـــي اقتصـــارهم الرواية على قبائل معينة، قد أهدروا ثروة لغوية كبيرة لقبائل أخرى فصـــيحة مثل عليا هوازن.

والبصريون مع تشددهم في القياس، لم يلتزموا بقانون الكثـــرة والقِلـــة. فسيبويه أجاز القياس – أحياناً- على القِلة التي ارتضاها الكوفيون مثل قياسه في النسب إلى "شنوءة" بشاهد واحد ليس لديهم غيره. [٤]

كما أجاز أن يُقال: "أعطاهوها" و"أعطاهاه" وهذا أيضاً ليس بالكثير فـــي كلام العرب[٥].

وليس لي هنا أن استقصى ما أنكره البصريون أو رفضوه؛ والسبب في ذلك إنني أرى أنه ليس من الصواب الإدعاء بأن العرب وهم أصحاب اللغـــة وأهلها- يخطئون؛ لأن اللغة كما هو معلوم، لها خصائص مشـــتركة تنـــتظم

---

(١) الاقتراح ص ٥٦ والقبائل الست هي: تميم، وقيس، وأسد، وهذيل، وكنانه،وطي.

(٢) مدرسة البصرة النحوية عبدالرحمن السيد، ص ٢٥٠،٢٥١.

(٣) تاريخ النحو: سعيد الأفغاني،ص ٧٤.

(٤) الكتاب: ٣٣٩/٣-٣٤٥ تحقيق عبدالسلام هارون.

(٥) السابق: ٢٧/٢-٢٨.

سائر لهجاتها، وكل لهجة لها مزاياها الخاصة وهذا التفاوت بين اللهجات أفضى إلى وجود استثناءات كثيرة في الأداء اللغوي، والقضايا النحوية وبالتالي تعددت الوجوه الإعرابية. [١]

وكما أسلفت في الفصل الأول عند حديثي عن مصادر النحو البصري، فإن القياس استقام مصطلحاً ومنهجاً عند أبي إسحق الحضرمي، في مواقفه وتوجيهاته، وقد وُفق في ذلك إلى مدى بعيد، كما أن بذور القياس نمت على يد الخليل وتلميذه سيبويه فقد أكثرا من القياس وتوسعا فيه. [٢]

والمراد بالقياس هنا: القاعدة النحوية ومدى إطرادها في النصوص اللغوية مروية أو مسموعة، وتقويم ما يشذ من النصوص اللغوية عنها[٣] ، حتى أن سيبويه لم يقف عند استقراء الأمر الواقع، بل كان يفترض فروضاً نظرية ثم يضع لها أحكاماً خاصة. فكتاب سيبويه ملئ بأمثلة كثيرة للأقيسة المختلفة، مما يدل على أن القياس وصل إلى كامل نضجه، وتمام قوته على عهده وعهد الخليل . وبهذا يصبح القياس أساساً من أسس الدراسة النحوية التي تُبني عليها القواعد ويوزن بها الكلام .

إلا أن القياس تطور فيما بعد خاصة في منتصف القرن الرابع الهجري على يد ابن جني وأبي على الفارسي،[٤] حتى إذا ما وصلنا إلى الأندلس نجد

---

(١) تقويم الفكر النحوي عند الأعلم الشنتمري: د. فتوح خليل، ص ٤١٣،ط ١ طبعة دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٠م.

(٢) نزهة الألباء: ابن الأنباري ص ٢٢، ١٢٩٤هـ.

(٣) أصول التفكير النحوي: على أبوالمكارم، ص ١٣، مطبعة دار الثقافة بيروت ١٩٧٣م.

(٤) هو أبوعلى الحسن بن أحمد بن عبدالغفار بن أبان الفارسي، قرأ النحو على أبي إسحق الزجاج برع في النحو توفى سنة ٣٧٧هـ ترجمته في إشارة التعيين ص ٨٣ لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني تحقيق: د. عبدالمجيد دياب، السعودية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط ١، ١٩٨٦م.

أن نحاتها جعلوا قواعدهم، وجعلوا كل كلام يجرى على نسق هـذه الأقيسة والقواعد فهو كلام عربي سليم.

إن القدر الجليل في الدراسات النحوية التي أسهم بها نحاة الأندلس، لا يمنع من أن يكون لهم منهج خاص، يلتزمون به في آرائهم النحوية واتجاهاتهم، والمقام يطول بي لو عرضت مواقف نحاة الأندلس جميعهم من القياس، ولا يسعني هنا إلا أن أشير إلى بعض النحاة المتأخرين وموقفهم من القياس؛ ذلك لأن القياس عندهم أصل من الأصول النحوية، فلم يخرجوا عن هذا الأصل في جهودهم النحوية، أضف إلى ذلك وفرة مصادر المتأخرين من النحاة التي ظهرت فيها اتجاهاتهم النحوية.

ولو ألقينا نظرة على نحو المتأخرين من الأندلسيين، نجد أنهم لم يلزموا أنفسهم إلزاماً تاماً بالمذهب البصري في القياس ولا الكوفي، بل كانوا يأخذون ما يصح دليله، وما لم يصح يرفضونه.

فابن مالك الجياني الأندلسي قيل عنه في نفح الطيب: "إنه عارف بدقائق النحو وغوامض الصرف وغريب اللغات"[١] فقد ظهرت روحه الاستقلالية في كتبه ومذهبه، وكان يأخذ من الاتجاه البصري في النحو ما قوي دليله ويرفض منه ما لم تؤيده الحُجة أو يدعمه برهان. فابن مالك كان يراعى السهولة في أقيسته ولم يتشدد كما يتشدد البصريون، بل كان يحترم المسموع ويقيس عليه، حتى لو كان بيتاً واحداً؛ لأن رواة الشعر لم يتعمقوا في معرفة لهجات العرب ولغاتهم حتى يردوا ذلك المسموع.[٢]

---

(١) نفح الطيب: ٤٢٧/٢.

(٢) الاقتراح: ص ٣٧.

فقد نقل ابن مالك في كتبه عن قبائل لخم وخزاعة وقضاعة وغيرهم؛ لأنه كان يرى أن لغات القبائل العربية كلها حجة، على حين أن أباحيان يرى أن ما ذهب إليه ابن مالك (ليس من عادة أئمة هذا الشأن). [١]

إذن ابن مالك كان لا يفرق بين مسموع قليل أو كثير، بل كانت له آراؤه وأفكاره واستنباطاته.

لم يكن أبو حيان كسلفه ابن مالك، بل كان متأثراً بكتاب سيبويه في تكوين آرائه النحوية، ولم يخرج عن هذا الكتاب إلا قليلاً. وتفسير هذا عند بعض المؤرخين هو أن أبا حيان وفد إلى مصر، وهو على مذهب الظاهرية[٢]، ومعنى ذلك أن هذا المذهب له بصمات واضحة في اتجاهات أبي حيان النحوية، فهو فيه مقلد ومردد لآراء سيبويه، ومقتف لآثار المتقدمين يتعصب لهم ويتلمس لهم الدليل والحُجة.

ومعنى هذا أن أبا حيان لم يحاول الخروج عن سنن الأولين في هذا الفن، ومع ذلك لم يكن مقلداً لهم كل التقليد من غير وعي ولا تفكير، فالذين ترجموا لأبي حيان أقروا بنبوغه في هذا العلم، وتعصُّبه لسيبويه والبصريين وذلك ما نتلمسه في مواقفه من كبار النحاة، ومناقشته لرصفائه من علماء عصره، مما يدل على أنه كانت له نظرات فاحصة في النحو، تدل على أنه استوعب مسائله بصورة تؤهله للمجادلة والمناقشة، بطريقة لا تضله عن منطِقِه وبرهانه.

---

(١) شرح الأشموني: نورالدين أبوالحسن الأشموني تحقيق محمد محي الدين ١٤١/٢، ط ٢ مطبعة الحلبي د.ت والتذييل ٧٠/٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الأول ص ٣٣٢ والمدرسة النحوية في مصر والشام ص ٢٣٣.

ولكن الحقيقة التي تطالعنا في هذا المجال، ولا ننكرها هي أن أبا حيان كان بصري النزعة، بالرغم من أنه خالف سيبويه والبصريين في بعض المسائل، إلا أن هذا لا يخرجه من هذه التبعية. وأرى أن الخروج عن المذهب البصري في مسائل قليلة، لا تخرج صاحبها عن رأي الأغلبية، ولا تحرمه من الانتساب لها؛ لأن العلم يستمد قوته من رجاحة العقل، واتقاد التفكير، وبذلك ينمو تدريجياً .

فالقياس عند أبي حيان لا يستعمل إلا إذا كانت هناك أدلة وشواهد كثيرة تعضده، بحيث تكون أساساً للقياس الذي تبني عليه القواعد، وتُصحح به المسائل. فكان لا يقيس على الشاذ والنادر وفاقاً للبصريين، حتى لا تلتبس الدلالات ولا تختلط الموضوعات. [١]

كما أن أبا حيان لا يهتم بعلة القياس، بل يهتم بالقياس من حيث هو؛ لأن القياس عنده ليس أمراً عقلياً يرجع إلى المنطق والتفكير، وإنما مرجع القياس هو كثرة الشواهد، واتساع السماع، فإذا كان القياس واجباً بناءً على هذا، ولم يُعمل به، فلابد من معرفة سبب المخالفة لهذا القياس.

بالرغم من أن أبا حيان تبع المذهب البصري في القياس، نراه قد خالفهم– كما أشرت– في بعض المسائل . كإجازته العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار[٢]– وقد منعه البصريون– لوقوعه في كلام العرب كقول الشاعر:

---

(١) أبوحيان النحوي: ص ٣٩ مصدر سابق والهمع للسيوطي ٤٧/١ ط ١ مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٧هـ.

(٢) شرح الأشموني: ١٥/٣.

فاليومَ قَرِبْتَ تهجونا وتشتمنا * فأذهب فما بك والأيامِ من عجبِ

ثم قال: ولسنا متعبدين بإتباع مذهب البصريين بل نتبع الدليل. [٢]

ثم نأتي لابن مضاء القرطبي فقد طالب بإلغاء القياس، وإن كان لم يصرح بذلك قولاً في ثورته تلك[٣] .

فمن المفيد هنا أن نقف على نظرات ابن مضاء الخاصة في النحو وأصوله، دفعه إلى ذلك مذهبه الظاهري، وقدَّم رأيه في كتاب خطير الشأن وهو "الرد على النحاة" ، فهو دعا إلى إلغاء نظرية العامل والعلل الثواني والثوالث . وقد ظن شوقي ضيف إنه– ابن مضاء– لم يفكر في إلغاء القياس[٤] إلا أن ابن مضاء يقبل القياس النحوي[٥]، ويرفض القياس العقلي[٦] معتمداً في رأيه هذا على احترام النص اللغوي[٧] .

ومعنى هذا إنه أنكر قسماً من الأقيسة التي لا يتوافر فيها ما يصح به القياس حيث قال: "إن الشيء لا يقاس على الشيء إلا إذا كان حكمه مجهولاً، والشيء المقيس عليه معلوم الحكم، وكانت العلة الموجبة للحكم في الأصل موجودة في الفرع".[٨]

---

(١) قائله: مجهول النسبة في كتاب سيبويه ٣٩٢/٢ وخزانة الأدب ١٢٣/٥.

(٢) الاقتراح: ص ١٠٠ والبحر المحيط ٧٤/٤.

(٣) مقدمة الرد على النحاة: تحقيق شوقي ضيف، ص ٣٧ مطبعة دار الفكر العربي القاهرة ١٩٤٧م.

(٤) السابق: ص ٣٧.

(٥) هو حمل غير المنقول على المنقول في معناه.

(٦) القياس العقلي هو تطابق العقل مع الواقع ينظر القياس في النحو العربي ص ٥٨ مصدر سابق.

(٧) أصول النحو العربي: محمد عيد ص ٩٩.

(٨) الرد على النحاة: ص ١٥٦.

ومعنى هذا إن ابن مضاء لا ينكر القياس، ولكنه جعل له أصلاً وفرعاً، وعلة وحكم، كالفقهاء وهو يبني على السماع والقياس، ولكنه أكثر ميلاً إلى السماع حيث قال: "وتقول: أعبد الله كنت مثله؟ وأزيداً لست مثله؟ بناءً على أن كان وليس فعلان وهذا لا يجوز عندي حتى يُسمح من العرب[1] كما أنه كان يراعى الكثرة في القياس وينكر القياس على الشاذ" . [2]

وقد كانت نزعة ابن مضاء الظاهرية هي التي أملت عليه موقفه هذا من النحو والنحاة، مدّعياً إنه فعل ذلك لتخليص النحو من كل ما علق به فلابد – عنده– أن يُلغى من النحو كل المسائل التي لا تفسر صيغاً نطق العرب بها، وعلى رأسها مسألة التمارين غير العملية.

ولقد رأينا فيما سبق أن القياس لدى النحويين الأوائل يرد بمعانٍ مختلفة، في طليعتها الحكم أو القاعدة المطردة المستنبطة من كلام العرب، كرفع الفاعل ونصب المفاعيل وما إلى ذلك، وهو ما يسميه ابن مضاء بالعلل الأُول.

ويرى الدكتور محمد عيد[3] أن ابن مضاء قد سار في طريق من سبقوه من المقلدين، تجاه فكرة القياس النحوي، واتخذه منهجاً للبحث كما ذكرت في هذا المبحث.

وثورة ابن مضاء هذه كان لها أثر في منهج أبي حيان الأندلسي النحوي، إلا أن أبا حيان لم يأخذ بكل ما نادي به ابن مضاء، وما من نحوي متعمق في

---

(١) الرد على النحاة: ص ١٢١.

(٢) السابق: ص ١٣٤–١٤٥.

(٣) أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأى ابن مضاء: ص ٢٨٤ مصدر سابق.

دراسة النحو يمكن أن يأخذ بما قال به ابن مضاء، إلا بعد جهد كبيـــر مـــن التهذيب والتشذيب .

فقد كان ابوحيان شديد النزوع إلى مذاهب أهل البصـــرة فـــي أقيســـتهم الدقيقة وتشددهم فيها، وهذا يأتي من جنوحه إلى المذهب الظاهري الذي كان المؤثر الظاهر في فكر ابن مضاء النحوي. (١)

إذن خلاصة لما تقدم يمكن أن نقول: أن نحاة الأندلس ساروا على نهـــج البصريين الذين وُصف مذهبهم بمذهب القياس، ولم يخرجوا عن مـــذهبهم إلا في مسائل متفرقة لا تخرجهم عن أصول المذهب البصري.

---

(١) أبوحيان النحوي ص ٣٩٥ مصدر سابق.

المبحث الثالث

التعليل

التعليل يمثل عنصراً أساسياً في الدرس النحوي عند العــرب، وتــذكر الروايات- كما أسلفت- أن ابن أبي إسحق الحضرمي أول من شرح العلــل وكذلك كتاب سيبويه- في أغلبه- مبني على التعليل .

أخذ التعليل يتطور حتى صار غاية من غايات الدرس النحوي، وجعل النحاة يقصدون إلى التأليف في العلل النحوية كما فعل الزجاجي في كتــاب (الإيضاح في علل النحو)، ثم يأتي ابن مضاء للدعوة لإسقاط العلــل، التــي دخلت في عالم الافتراض والتخمين، لكنه لم يستغن عن العلــل الأُول التــي تجعلنا نعرف مثلاً أن كل فاعل مرفوع.

فالنفور من التعليل كان سمة من سمات نحاة القرن السابع الهجري على وجه الخصوص، باعتبار أن التعليل أفسد النحو العربي، وأدخله في متاهــات هو في غنى عنها.

يجدر بنا هنا أن نعرض لتعريف العلة النحوية ومفهومها قبل الحــديث عن موقف نحاة الأندلس منها.

تعريف القلة النحوية:

العلة أهم أركان القياس النحوي؛ لأنه لابد في تحققه منها ليُجمــع بــين الأصل والفرع عند جمهور القياسيين.

والعلة في معناها اللغوي: أطلقوها على ثلاثة أوجه:

أولاً: علة المرض: وهي التي تؤثر فيه عادة.

ثانياً: الداعي من قولهم: علة إكرام زيد لعمرو علمه وإحسانه.

ثالثاً: من الدوام والتكرار ومنه العلل للشرب بعد الري، فيقال: عللاً بعد نهل.

والعلة في الاصطلاح: هي عند النحويين الوصف الذي يكون مظنة وجه الحكم في اتخاذ الحكم، أو هي الحكم الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختار في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة".[(١)]

ومعنى ذلك أن العلة هي أن تتخذ وجهاً معيناً في الكلام، مظنة أن النحاة أو العرب قالوا ذلك بسبب كذا، كما ذكروا أن العلة هي أحد أركان القياس الذي ينقسم إلى: الأصل، والفرع، والعلة،و الحكم.

فمثلاً يعلل ابن الأنباري[(٢)] لإعراب نائب الفاعل بالرفع قياساً على الفاعل . فالأصل هو الفاعل، والفرع هو ما لم يُسمَّ فاعله، والعلة الجامعة هي الإسناد، والحكم هو الرفع[(٣)] . والأصل في الرفع أن يكون للأصل الذي هو الفاعل، وإنما أُجري على الفرع الذي هو "ما لم يسم فاعله" بالعلة الجامعة وهي الإسناد. وعلى هذا النحو نجد تركيب قياس العلة عند النحاة . أخذوه من الأصوليين وطبقوه في الدراسة الإعرابية. [(٤)]

مفهوم العلة عند النحويين:

---

(١) النحو العربي العلة النحوية نشأتها وتطورها: د. مازن المبارك ص ٩٠ ط ١ المكتبة الحديثة ١٩٦٥م.

(٢) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، الإمام ابوبكر بن الأنباري النحوي من أعلم الناس بالنحو كما قالت كتب التراجم ولد سنة ٢٧١هـ وتوفى سنة ٣٢٨هـ له عدة مؤلفات منها (لمع الأدلة) ترجمته في بغية الوعاة ٢١٤/١ ط بيروت.

(٣) لمع الأدلة: لأبي البركات بن الأنباري تحقيق سعيد الأفغاني ص ٢٣ طبعة دمشق ١٩٧٧م.

(٤) ظاهرة الإعراب في النحو العربي:د. أحمد سليمان ياقوت ص ١٦٣ جامعة الرياض، دار المعرفة الجامعية، د.ت.

أخذت العلة مفاهيم مختلفة قبل أن تستقر في معناها الشائع المعروف.

كان النحاة يطلقون اسم العلة على مختلف القواعد أو القوانين النحوية التي يستنبطونها من استقراء الكلام . ومن أمثلة ذلك: أن لا خلاف في أن الفاعل في العربية يكون مرفوعاً . فإذا وقع في كلام أحدهم لفظ مرفوع على هذا الوجه، وسُئل عن سبب رفع هذا الاسم أجاب: لأنه فاعل . إلا أن هذا المفهوم أصبح لدى آخرين هو كل ما يذكر في تعليل ما ليس من قبيل الإعراب، والذي جعلوه مرتبطاً بالعامل، سواء أكانت الظاهرة المعللة منطلقة بالألفاظ المفردة، أم ببناء العبارات المركبة وارتباط عناصرها ببعض. (١)

كذلك يجب هنا التمييز بين العلة الصرفية والنحوية، إذا تجاوزنا ما يسمى بالعلل الأُول، فالعلة النحوية في الواقع لا تتجاوز القواعد المطّردة إلى ما وراءها مما اعتل به النحويون، وجعلوها أساساً يقود إلى تلك الأحكام. (٢)

أما العلل الصرفية فتعود –في الأغلب– إلى أسباب لسانية بحتة مدارها اجتناب الثقل، وطلب الخِفَّة أخذاً بما جرى عليه العرب في نُطقهم. (٣)

---

(١) القياس في النحو: د. مني الياس ص ٤٧ ط ١ دار الفكر دمشق ١٩٨٥م.

(٢) السابق: ص ٤٨–٤٩.

(٣) السابق: ص ٤٨–٤٩.

أسباب وجود العلة والتعليل:

وجود ظاهرة التعليل في النحو لها أسباب عدة حصرها علماء النحو في الآتي:

أولاً: التعليل النحوي يكشف حكمة الله في الصيغ، وأوضاع الكلام . فاللغة بصيغها ونظمها –عند بعض العلماء– إلهام من الله جل وعلا، وأنه قد حباها العرب، وعلى النحاة أن يبحثوا عن حكمة الله فيها[١] فكان التعليل.

ثانياً: إن هذه العلل قامت في عقول العرب ذينات للنطق يقول الخليل: "إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواضع كلامها وقامت في عقولها علله"[٢] .

ثالثاً: الإحساس بالخفة أو الثقل . وهو أمر يعود إلى إحساس النحوي وذوقه الخاص.

وذلك كالعدل في "ثقل" و"زحل" و"غدر" و"عمر" فقد قيل لابن جني: "لسنا نعرف سبباً واحداً أوجب العدل في هذه الأسماء دون غيرها فإن كنت تعرفه فهاته فقال: إذا حكمنا بديهة العقل إلى الطبيعة والحِس فقد وفينا الصنعة حقها"[٣] وساق العلة بعد ذلك.

---

(١) العلة النحوية نشأتها وتطورها: ص ٨٧ مصدر سابق.

(٢) أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء: د.محمد عيد ص ١١٣ عالم الكتب القاهرة ١٩٧٨م.

(٣) الخصائص: ابن جني ٥٢/١-٥٣ مصدر سابق.

أمثلة من تعليلات البصريين:

جاء في كتاب سيبويه إن من تعليلات الخليل "خشنتُ بصدره" فالصدر في موضع نصب والباء عملت فيه، وكذلك لما أدخلت الباء- أي بصدره- عملت، والموضع موضع نصب والمعنى معنى النصب. (١)

ومن تعليلات سيبويه أيضاً "ليس في الأسماء جزم؛ لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة، وليس في الأفعال المضارعة جر كما ليس في الأسماء جزم، لأن المجرور داخل في المضاف إليه معاقب للتنوين وليس ذلك في هذه الأفعال وإنما ضارعت أسماء الفاعلين إنك تقول: إن عبدالله ليفعل فيوافق قولك أن عبدالله لفاعل". (٢)

كذلك علل سيبويه لرفع المثني بالألف ونصبه وجره بالياء فيقول: "تكون في الرفع ألفاً ولم تكن واواً ليفصل بين التثنية والجمع على حد التثنية وتكون في الجر ياءً مفتوحاً ما قبلها ولم يكسر للفصل بين التثنية والجمع على حد التثنية، وتكون في النصب كذلك، ولم يجعلوا النصب ألفاً ليكون مثله في الجمع وكان مع هذا أن يكون تابعاً للجر منه أولى، لأن الجر للاسم لا يجاوزه والرفع قد ينتقل إلى الفعل فكان هذا أغلب وأقوى"(٣) .

ومن تعليلات سيبويه- أيضاً- تعليله نصب جمع المؤنث السالم وجره بالكسرة "جعلوا تاء الجمع في الجر والنصب مكسورة لأنهم جعلوا التاء التي

---

(١) الكتاب: ١/٨٥-٨٧.

(٢) السابق: ١/٣.

(٣) السابق: ١/٤.

هي حرف الإعراب كالواو والياء والتنوين بمنزلة النون لأنها في التأنيث نظيرة الواو والياء في التذكير فأجروها مجراها"[١] .

موقف نحاة الأندلس من التعليل النحوي:

أخذت العلة تنمو وتتطور حتى استقرت وأتت أكلها على يد الخليل وتلميذه سيبويه . والقواعد النحوية التي وضعها الخليل وسجلها سيبويه في كتابه اعتمدت كل الاعتماد على التعليل،- الذي يُعد كتابه أول بحث جامع للعلل النحوية، واستفحلت العلة بعد ذلك في الدراسات النحوية، وبدأت تتجه اتجاهاً فلسفياً منطقياً، مما جعل الدراسة النحوية تتعقد .

لهذا كانت اختلافات النحويين، فمنهم من كان مغرماً بالعلل مدافعاً عنها كابن جني- مثلاً- ومنهم من ألغاها ونفر منها -كابن مضاء- وبوجه عام رفض نحاة القرن السابع الهجري في الأندلس التعليل حتى أنهم وصفوه بأنه هذيان في القول وخروج عن منهج التعليم. [٢]

وعليه فلنقف على موقف بعض نحاة الأندلس من التعليل النحوي ومنهم: ابن حزم مؤسس المذهب الظاهري في المغرب والأندلس، وكان مذهبه يقوم على إنكار التعليل في الأحكام الفقهية؛ لذلك نجده يقول عن التعليل: "فالتعليل هو استخراج المفتي علة الحكم الذي جاء به النص وهذا باطل لأنه إخبار عن الله حكم بكذا، من أجل تلك العلة، وإخبار عن الله بما لم يخبر عن نفسه"[٣]. وأن ابن حزم يهاجم التعليل في القواعد النحوية متأثراً بالمذهب الظاهري من التعليل في الفقه، فهو يقرر أن العلل النحوية كلها فاسدة لا يرجع منها شيء

---

(١) الكتاب: ١٢/١.

(٢) خصائص مذهب الأندلس النحوي: ص ١٨٩ مصدر سابق.

(٣) الإحكام: باب إبطال القياس والرأي والاستحسان والتعليل، لابن حزم ٢١/٦، ٢٢.

إلى الحقيقة – البتة– و"إنما الحق في ذلك أن هذا سُمع من أهل اللغة الـــذين يرجع إليهم في ضبطها ونقلها".. [١]

كما كان ابن حزم يرى أن التعمق في بحث مسائل النحو، إفساد له وفي ذلك يقول: "أما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة فيها بل هو مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم، وإنما هي تكاذيب"[٢].

كما إنه كان متشدداً في المحافظة على الظاهر، فيرى أنه لا سبيل إلـــى نقل اللفظ عن موضعه الذي رتب للعبارة عنه "جميع الدلائل تبطل نقل اللفظ عن موضعه في اللغة ولا دليل يصححه أصلاً".[٣]

ابن خروف والتعليل:

كان يأخذ بالعلل الأُول التي لابد للمتعلم منها، ويرفض العلـــل الثـــواني والثوالث[٤]. وكان ابن خروف من الرافضين للمناقشات والجدل، فكان متأثراً بالمذهب الظاهري الذي كان سائداً في الأندلس حينذاك. ومن هنا لـــم يعتـــد بالعلل كثيراً، ومع ذلك فقد هاجم ابن مضاء، وكان هذا الهجوم نتيجة محاولة ابن مضاء القضاء على النحو العربي من خلال ثورته تلك.

كما إن رفض ابن خروف للعلل الثواني والثوالث إنما أراد به تهـــذيب النحو من تلك المناقشات والجدل الذي يؤدي إلى تعقيد النحو أمام المتعلمين، ويدخلهم في متاهات تقف حجر عثرة أمام معرفتهم لذلك العلم. [٥]

---

(١) نظرات في اللغة عند ابن حزم: سعيد الأفغاني ص ٤٤، ٦٩٣/٧ طبعة دمشـــق ١٩٩٣م وينظر الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٧٥/١.

(٢) السابق ص ٤٦.

(٣) نظرات في اللغة عند ابن حزم: ص ٣٤ مصدر سابق.

(٤) الاتجاهات النحوية في الأندلس: أمين السيد ص ٥٢٢ مصدر سابق.

(٥) خصائص مذهب الأندلس النحوي: ص ١٩١ مصدر سابق.

ابن الضائع والتعليل:

هو أحد نحاة القرن السابع الهجري، الذين لا يعتدون بالعلل، حينما تكون سبباً في خلافات لا تجدي، وحينها ينتج عن تلك العلل فرضيات تدخل المتعلم في تعقيدات لا حاجة له بها، فيقول: في تعريف الإعراب والخلافات التي وردت فيه "الإعراب صوت في آخر الكلمة يوجبه العامل فأيمن الله صوت الضمة في آخره الذي أوجبه الابتداء- هو الإعراب- وقد ردّ الأستاذ أبوعلى[1] هذا الرسم على ابن طلحة[2] بأنه قد لا تكون صوتاً ألا ترى أن الجزم في الأفعال المعتلة وفي الأمثلة الخمسة حذف الصوت وكذلك السكون حذف صوت الحركة وأيضاً فالإعراب المقدر ليس بصوت..." [3] ثم يورد كثيراً من الآراء والخلافات والأدلة والتعليلات ويختم ذلك بقوله: "وهذا هذيان والكلام فيه خروج عن التعليم" يتضح من ذلك أن ابن الضائع كان من أولئك الذين يقبلون التعليل إن كان التعليل لحكمة، والمقصود به تثبيت القواعد في أذهان الدارسين، ويرفضونه إن بعُد عن الإدراك، وتسبب في افتراضات لا فائدة منها. [4]

---

(١) هو: محمد بن طلحة بن محمد بن خلف الأموي الأشبيلي أبوجعفر ولد في بابيرة سنة ٥٤٥هـ درس القراءات واشتهر بالنحو وله عدة مصنفات توفى سنة ٦١٨هـ بغية الوعاة ١/٨٤.

(٢) شرح الجمل: لابن الضائع ١/١٩٩ دار الكتب مخطوط ١٩، ٢٠.

(٣) السابق: ١/١٩٩.

(٤) شرح الجمل: ابن الضائع، ١/١٧٩.

أبوحيان والتعليل:

كان ظاهري المذهب، واختلف في رجوعه عنه عندما وصل إلى مصر قادماً من الأندلس[١] . ونُقل عنه ما يؤكد بقاءه على المـــذهب الظـــاهري إذ يقول: "محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه"[٢] فإذا كان المذهب الظاهري ينادي بتحرّج السؤال عن شيء وُجد لم وُجد؟ فإن أبا حيان قد عـــد علم العربية من الوضعيات، والوضعيات لا تحتاج إلى تعليل، وذلك عنـــدما تحدث عن علم العربية قائلاً: "باب الوضعيات العربية فـــي الحقيقـــة كـــم لا يحتاج إلى تعليل كما لا يحتاج في علم اللغة إلى تعليل.." [٣].

و قد أشاد أبوحيان بابن مضاء في إلغاء العلل الثواني والثوالث، وقـــرر أن النحاة أفسدوا النحو العربي بكثرة التعليلات فقـــال: "ولـــم أر أحـــداً مـــن المتقدمين نبَّه عن إطراح هذه التعاليل إلا قاضي الجماعة أباجعفر أحمد بـــن مضاء صاحب كتاب "المشرق في النحو" فإنه طعن علـــى المعللـــين بالعلـــل السخيفة وردّ عليهم ما شحنوا به كتبهم من ذلك...". [٤]

نتيجة لذلك نفر أبوحيان من كثرة التعليل مثال لذلك:

تعليقه على نص لابن مالك في تعليله عدم دخول تاء التأنيث على فعـــل الأمر والمضارع[٥] يقول ابوحيان: "وعلل المصنف في شرحه كونها لم تدخل فعل الأمر ولا المضارع فقال: "للاستغناء عنها بياء المخاطبة نحو "أفعلـــي"

(١) نفح الطيب: ٥٩٣/٧ مصدر سابق.

(٢) البحر المحيط: ٥٧/١ ، تاريخ الفكر الأندلسي ص ٢٣٨.

(٣) منهج السالك: أبوحيان، ص ٢٧١ طبعة ١٩٤٧م.

(٤) السابق: ص ٢٣٠-٢٣١.

(٥) التسهيل: ابن مالك، ص ٤ طبعة دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٨م.

وللاستغناء عنها بتاء المضارعة نحو "تفعل" ولأنها ساكنة فالمضارع يسكن في الجزم فلو لحقته التقي فيه ساكنان"[١] وهذه التعاليل هي تعاليل لحصر صفات وضعية لا حاجة إليها[٢] .

وقد علق أبوحيان على تعليلات كثيرة لا يرى فيها منفعة[٣] يطول ذكرها في هذا المقام ولنا أن نقول: تأسيساً على ما تقدم أن موقف أبي حيان من العلة النحوية ونفوره من التعليل أمر واضح في مسائل النحو، ودليل ذلك اختصاره لكتاب التذييل والتكميل في شرح التسهيل في كتاب ارتشاف الضرب بهدف تجميع أحكام التسهيل "عارية إلا في النادر من التعليل".[٤]

ابن مضاء والثورة على العلة النحوية:

ظهر ابن مضاء في الأندلس خلال القرن السادس الهجري، وثار على العلل النحوية، فطالب بإلغاء نظرية العامل والعلل الثواني والثوالث، وإبطال القياس –كما سبق ذكره– وترك المسائل النظرية وإسقاط كل ما لا يفيد في النطق وكان في اتجاهه هذا متأثراً بمذهب أهل الظاهر.

أثبت كثير من الباحثين المحدثين أن ابن مضاء كان ثائراً على نحو المشارقة، ومن أولئك الباحثين شوقي ضيف[٥] وأحمد أمين[٦] وأمين السيد[٧] وخديجة الحُديثي. [١]

---

(١) السابق: ص ٤–٥.

(٢) التذييل والتكميل: لأبي حيان ٣٨/١ دار الكتب المصرية د.ت.

(٣) ينظر الارتشاف: ص ١٠٦، ٥٥، ٦٨ ومنهج السالك: ص ٥٢٩.

(٤) مقدمة ارتشاف الضرب: ص ٢.

(٥) مقدمة الرد على النحاة: ص ٨.

(٦) ظهر الإسلام: أحمد أمين ٩٦/٣ طبعة القاهرة ١٩٥٣م.

(٧) الاتجاهات النحوية في الأندلس: ص ٢٧٦ مصدر سابق.

وقد تأرجح تقويم الباحثين لموقف ابن مضاء، فمنهم من يرى إنـــه قـــام بخطوة كبيرة في تطور النحو وتيسيره،[2] ومنهم من يرى أنه أراد أن يكـــون إماماً مشهوراً في دراسة العربية[3].

ولكن من الواضح أن ثورة ابن مضاء هذه قد كان لها أثرٌ واضحٌ فـــي نحاة القرن السابع الهجري في الأندلس، تمثلت فـــي نفـــورهم مـــن التعليـــل واتجاهاتهم لتيسير النحو العربي، ووضع المتون النحوية، وشرح كتب النحو القديم منها والمتأخر؛ دفاعاً عن أصول اللغة العربية من الضياع.

---

(١) أبوحيان النحوي: ص ٣١٩ مصدر سابق.

(٢) ظهر الإسلام: ٣/٩٥-٩٨.

(٣) الاتجاهات النحوية: ص ٢٨٩-٢٩٣.

المبحث الرابع

أثر المذهب البصري في اختيارات الأندلسيين النحوية

وهذه بعض المسائل النحوية التي توضح تـأثر الأندلسـيين بالمـذهب البصري:

المسألة الأولى: العلم أعرف من المشار إليه:

صحح ابن عصفور ما ذهب إليه البصريون من أن العلم أعـرف مـن المشار إليه، خلافاً إلى ما ذهب إليه الكوفيون عكس ذلك . فقال ابن عصفور عن المعارف: "وترتيبها في التعريف على مذهب سيبويه ولم يخالفه الفراء إلا في المشار إليه فإنه زعم أنه أعرف من العلم لكونه يُعرف بـالعين والقلـب والعلم يعرف بالقلب خاصة وما ذهب إليه سيبويه من أن العلم أعـرف مـن المشار إليه هو الصحيح بدليل أن تطرُّق اللبس إليه أقل مـن تطرقـه إلـى المشار"(١) وترجيح ابن عصفور هنا قائم على أساس أن أعرف الأسماء مـا ابتعد عن تطرّق اللبس.

المسألة الثانية: كان وأخواتها لا يليها معمول الخبر:

معمول الخبر لا يلي كان وأخواتها عند جمهور البصريين سواء تقـدم الخبر على الاسم نحو: كان طعامك آكلاً زيدٌ . أم لم يتقدم نحو: كان طعامَك زيدٌ آكلاً . وأما الكوفيون فقد أجازوه مطلقاً تمسكاً بقول القائل:

قَنَافِـذَ هَـدَّا جُـونُ حَـولَ بُيُـوتِهِم

بِمَا كَـانَ إيَّـاهُمَّ عَطِيـةُ عـوّدا(٢)

---

(١) شرح الجمل: ابن عصفور، صاحب جعفر، ص ٥٧ دكتوراه، آداب القاهرة.

(٢) قائله الفرزدق في ديوانه ١٨١/١ فـي شـواهد الأشـموني: ٢٣٧/١، وخزانـة الأدب: ٢٦٨/٩.

وقد رجح ابن مالك ما ذهب إليه البصريون فيقول في الألفية:

ولا يلي العامل معمول الخبر **إلا إذا ظرفاً أتي أو حرف جر.** (١)

المسألة الثالثة: المضمر المنفصل:

المضمر المنفصل هو لفظ واحد وذلك " إِيّا " ويليه دليل ما يراد به من متكلم أو مخاطب أو غائب إفراداً وتثنية وجمعاً تذكيراً وتأنيثاً(٢)، وهذه اللواحق حروف تبين الحال، كاللاحقة في أنت وأنتما، وأنتم وكاللواحق في اسم الإشارة وهذا مذهب سيبويه وصححه ابوحيان(٣) خلافاً لابن مالك الذي يرى أنها أسماء مضمرة أضيف إليها الضمير الذي هو إيا لظهور الإضافة في قولهم: (إياه وإيا الشواب) (٤) وفاقاً للخليل.

المسألة الرابعة: إعراب الأسماء الستة:

مذهب سيبويه وجمهور البصريين أنها معربة بحركات مقدرة في الحروف، وأنها أُتبع فيها ما قبل الآخر للآخر؛ لأن أصل الإعراب أن يكون بحركات ظاهرة أو مقدرة فإذا أمكن التقدير مع وجود النظير لم يعدل عنه(٥) وصححه ابن مالك وابوحيان(٦) والشلوبين. (٧)

---

(١) الأشموني: ٢٣٧/١.

(٢) الهمع: ٦١/١.

(٣) الارتشاف: تحقيق مصطفى أحمد النماس ٩٧/٢ باب المضمرات

(٤) الأشموني: ٤٦/٤ والتسهيل ص ٢٦.

(٥) الهمع: ٣٨/١.

(٦) السابق: ٥٩/١.

(٧) هو عمر بن محمد بن عمر الأزدي الأندلسي أبوعلى الشلوبين ولد في أشبيلية سنة ٥٦٢هـ كان إمام الغربية في عصره توفى سنة ٦٤٥هـ أهم مصنفاته التوطئة وشرح كتاب سيبويه وشرح المقدمة الجزولية ترجمته في بغية الوعاة ٢٢٤/٢.

المسألة الخامسة: رافع المبتدأ والخبر:

للنحويين في رافع المبتدأ والخبر عدة مذاهب أهمها:

أولاً: مذهب الجمهور القائل بأن رافع المبتدأ – الابتداء ورافع الخبر المبتدأ ورجحه الشلوبين وقد علل تصحيحه لمذهب الجمهور بأن الابتداء لا يطلب الخبر بالحقيقة وإنما يطلب المبتدأ والمبتدأ هو الذي يطلب الخبر"(١) خلافاً لأبي حيان الذي اختار مذهب الكوفيين وهو أن كلاً من المبتدأ والخبر رفع الآخر. (٢)

المسألة السادسة: رافع الفاعل:

اختلف النحاة في رافع الفاعل:

ذهب سيبويه إلى أنه ارتفع بتفريغ الفعل إليه أو بتفريغ الاسم الذي في معناه إليه(٣) وهذا ما صححه الصفار(٤) وقد استدل الصفار لصحة ما ذهب إليه سيبويه بأنه لما فرغ الفعل، أو ما في معناه إلى الفاعل، عمل فيه لأن ما يفرغ لشيء ما يعمل فيه وهذا ما تحقق هنا فكان التفريغ عاملاً في المفرغ إليه وهو الفاعل. (٥)

المسألة السابعة: أَفِعلْ به:

لفظ أَفِعلْ به عند البصريين لفظ الأمر، ومعناه التعجب والجار والمجرور هو الفاعل، ولا ضمير في الفعل، ولو كان فيه ضمير المخاطب

---

(١) ينظر التوطئة: الشلوبين ص ٩٢ المكتبة التيمورية، د.ط.

(٢) السابق: ص ١١٢.

(٣) الكتاب: ٢٤/١.

(٤) هو قاسم بن على بن محمد أبوالقاسم الصفار أخذ النحو عن ابن عصفور والشلوبين توفى توفى بعد سنة ٦٣ ترجمته في بغية الوعاة ٢٥٦/٢.

(٥) ينظر الهمع: ١٥٩/١.

لظهر في التثنية والجمع ومخاطبة المؤنث في قولهم: يا هند أحسِـــنْ بعمـــرو دليل على ذلك . وكذلك يا زيدون أحسِنْ بعمرو.

والكوفيون يقولون: الجار والمجرور في موضع نصب والفاعل، مضمر في الفعل، ولا يظهر ولا يؤنث الفعل، وتقدير الكلام عندهم ما أفعله ودلـــيلهم على كونه في موضع نصب حذف المجرور في قوله:

فـــذلك إن يلـــقْ المنيـــة يَلْقَهـــا حميـــداً

وإن يســـــتغن يومـــــاً فأجـــــدِرِ[١]

وفي قوله تعالى:﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾[٢].

وقد وافق بن خروف البصريين في قوله: "وقولهم افعل به لفظه لفظ أمر ومعناه التعجب والجار والمجرور هو الفاعل".[٣]

المسألة الثامنة: الرجاء:

اختلف النحاة في الرجاء هل له جواب فينصب الفعل بعد الفاء جواباً له؟ وقد ذهب البصريون إلى أن الترجي في حكم الواجب، وأنه لا ينصب الفعـــل بعد الفاء جواباً له.

وذهب الكوفيون إلى جواز ذلك ولم يصححه أبوحيان، وقـــد أوّل قولـــه تعالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ ﴾[٤] في قراءة من نصب

---

(١) قائله عروة بن الورد ديوانه ص ٥٢ شرح ابن السكيت دار الكتـــاب العربـــي بيـــروت ١٩٩٤م وينظر اللهمع ٣٨/٢.

(٢) سورة مريم الآية ٣٨ وينظر الإنصاف: ٥٧/١ تحقيق محمد محي الدين.

(٣) شرح جمل الزجاجي: لابن خروف ٤٠٢/١ تحقيق د. سلوى محمد عرب مكة المكرمـــة جامعة أم القرى ١٤١٩هـــ.

(٤) سورة غافر الآيات ٣٦-٣٧ وينظر كتاب السبعة: لابن مجاهد ص ٢١٠ ومعاني القرآن للغراء ٢٤٩/١.

بأن النصب في هذه الآية من العطف على التوهم لأن خبر لعل كثر في لسان العرب دخول أن عليه. [1]

المسألة التاسعة: مجيء إنَّ حرف جواب بمعنى نَعَمْ:

مذهب سيبويه في كتابه[2] أن (إنّ) ترادف نعم فلا إعمال لها واختـــاره ابن مالك في التسهيل[3] ووافقه ابن عصفور وتأولوا ما ورد مما ظاهره أنها بمعنى نعم .

ويجوز أن تخفف (إنّ) فتكون كالمشددة عملاً وأحكاماً، إلا أنها لا تدخل على المضمر فلا تقول: "إنْك" إلا في ضرورة كما أجاز ابوحيـــان[4] مجـــئ الفعل بعد (إنَّ) وفاقاً لمذهب البصريين ومثلها لكن، ولعل، وكأن.

المسألة العاشرة: إعراب جمع المؤنث السالم:

عند البصريين يُنصب ويُجر بالكسرة كسر إعراب خلافاً للأخفش[5] في زعمه أنه مبني في حالة النصب وإنما نُصب بالكسرة مع تأتي الفتح ليجـــري على سنن أصله وهو جمع المذكر السالم في حمل نصبه على جره.

وجوّز الكوفيين نصبه بالفتحة مطلقاً وابن مالك وافق البصريين في مـــا ذهبوا إليه. [6]

---

(١) الهمع: ١٢/٢.

(٢) الكتاب: ١٥١/٣.

(٣) التسهيل: ص ٦٤.

(٤) الارتشاف: تحقيق مصطفى أحمد النماس ١٢١/١.

(٥) هو سعيد بن مسعدة أبوالحسن الأخفش الأوسط (نحوي) تلميذ سيبويه عالم باللغة والأدب توفى سنة ٢١٥هـــ ترجمته في الأعلام ١٢١/٣.

(٦) شرح الأشموني: ٩٢/١.

المسألة الحادية عشرة: الوقف على ياء المنقوص:

أجاز سيبويه[1] وبعض البصريين إثبات ياء المنقوص في الوقف إن كان مرفوعاً أو مجروراً ووافقه أبوحيان[2] وابن مالك[3]؛ لأن اليـاء ثابتـة فـي الوصل . ولم يحدث ما يوجب حذفها وجاز حذفها عند غيرهم؛ فرقـاً بـين الوصل والوقف[4] واستشهدوا بالبيت أدناه في عدم جواز حذف اليـاء نحـو "تفري".

ولأنـت تفـرِي مـا خلقْـتَ وبعـضُ
القـومِ يُخْلَـقُ ثُـمَّ لا يفـري[5]

المسألة الثانية عشرة: الجمع بين الفاعل الظاهر والتمييز:

منع أبوحيان[6] وابن عصفور[7] وابن مالك[8] الجمع بين فاعـل "نِعـم" والتمييز وفاقاً لسيبويه[9] والبصريين، عدا المبرد وابن السـراج[10] وحجـة أن التمييز لرفع الإبهام ولا إبهام مع ظهور الفاعل.

---

(١) الكتاب: ١٥٤/٤.

(٢) ارتشاف الضرب: ٣٩٦/١ تحقيق مصطفى أحمد النماس.

(٣) أوضح المسالك: ٢٠٢/٣.

(٤) شرح المفصل: ٢٢٧/٥.

(٥) لزهير بن أبي سلمى: ديوان زهير ص ٩٤ شرح ديوان زهير.

(٦) الارتشاف: ٢٢/٣ تحقيق مصطفى أحمد النماس.

(٧) المقرب: ٦٨/١.

(٨) التسهيل: ص ١٢١.

(٩) الكتاب: ١٧٥/٢-١٧٩.

(١٠) المقتضب: ٥٣/٢- الأصول ١٢٠/١.

المسألة الثالثة عشر: جواز حذف التنوين للضرورة الشعرية:

أجاز سيبويه[١] وجمهور البصريين حذف التنوين لالتقاء الساكنين للضرورة ونصب ما بعده، وله نظائر في القرآن الكريم نذكر منها قوله تعالى:﴿ عُـزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[٢] فحذف التنوين لأنه جعل ابن الله صفة لعُزيرُ والخبر محذوف والتقدير عُزرُ ابن الله إلهنا.

ثم ذكر سيبويه قول الشاعر:

فألفَيْتُه غير مُستعْتِب * ولا ذاكِرَ الله إلا قليلاً[٣]

فالشاهد هنا في قوله (ذاكر) حيث حذف التنوين من (ذاكر الله) وهو مدوّن في كتب نحوية كثيرة لذات القضية النحوية. [٤]

المسألة الرابعة عشر: تركيب لن:

اختلف النحاة في تركيب لن هل هي مركبة أم لا؟ وما يعنينا هنا ما ذهب إليه البصريون فالخليل ذهب إلى أن "لن مركبة من [لا- أن] وحدث مع التركيب معنى لم يكن يقبله...." [٥] واختاره الشلوبين وقد بني اختياره على أن الأصل تقليل الأصول لا تكثيرها.

المسألة الخامسة عشر: اشتقاق الفعل من المصدر:

---

(١) الكتاب: ٤٥٧/١ والإنصاف: ١٥٩/١.

(٢) سورة التوبة الآية ٣٠ وهي قراءة أبي عمرو ينظر معاني القرآن: للفراء ٣٥/٥.

(٣) ديوان أبي الأسود ص ٥٤.

(٤) ينظر الإنصاف: ١٥٩/١ وشرح المفصل: ٦/٢ والهمع: ١٩٩/٢ وشرح شواهد المغنى: ٩٣٣/٢ والارتشاف: ٢٩٧/٣. تحقيق مصطفى النماس

(٥) الاشباه والنظائر: للسيوطي ٩٨/١ طبعة الهند ١٣٥٩هـ.

ذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر بقولهم: (إنما يصح المصدر لصحة الفعل ويمثل لاعتلاله طلباً للتشاكل وليس في ذلك دليل على الأصلية والفرعية كما أن الاعتلال شيء يوجبه التصريف وثقل الحروف...).[1]

وأضافوا أيضاً: (إن العامل والمعمول من قبيل الألفاظ والاشتقاق من قبيل المعاني فلا يدل أحدهما على الآخر اشتقاقاً كما أن الحرف يعمل في الاسم وليس الاسم مشتقاً منه كما أن المصدر يعمل عمل الفعل.[2]

وقد وافق ابن عصفور[3] وابن مالك[4] وابن خروف[5] وأبوحيان[6] مذهب البصريين لأن الفروع محمولة على الأصول دائماً.

يريدون من ذلك أن الفعل من المصدر، والمصدر أسبق منه بدلالة أن الفعل لا يكون إلا من الاسم، أنه يُضمر في الفعل والإضمار فرع.

هذه الطائفة من المسائل التي رجح فيها نحاة الأندلس آراء البصريين، تمثل جزءاً يسيراً من اختياراتهم . وقد عرضتها حتى تكون دليلاً على ما أقول، وهي مسائل كثيرة لا يتسع المجال لحصرها كلها أو تعدادها، وإنما اكتفيت بما يرسم صورة لمنهج الأندلسيين، وطريقتهم .

---

(١) الإنصاف: مسألة رقم ٢٨ [بتصرف] ٥٧/١.

(٢) السابق نفس المسألة.

(٣) شرح الجمل لابن عصفور ١٢/١.

(٤) شرح الأشموني ١١٢/١.

(٥) شرح جمل الزجاجي لابن خروف تحقيق سلوى محمد عرب جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤١٩هـ.

(٦) الارتشاف ١٧٩/٣ تحقيق مصطفى أحمد االنماس.

وقد جاء في بعض المسائل موافقتهم لسيبويه وسيبويه بصري، بل زعيم المدرسة البصرية، وكل آراء البصريين من معينه . وكتاب سيبويه على نهجه تكون المذهب البصري، فالفصل إذاً بين البصريين وسيبويه فصل لا يقبله الواقع، وتأثر الأندلسيين بسيبويه هو تأثرهم بالمدرسة البصرية في كثير من اختياراتهم .

فالاتجاه البصري في النحو الأندلسي بائن وظاهر، لا تخطئه عين ولا يغفله عقل، فالمدرسة البصرية أرست دعائم النحو وأصوله، وعلى نهجها اختط الأندلسيون لأنفسهم مذهبهم النحوي، الذي لم يخرجوا فيه عن أصول النحو البصري وإن كان هناك اختلاف في الفروع فهذا الاختلاف لا يبعدهم عن النحو البصري وأصوله.

وإذا تتبعنا أثر المدرسة البصرية لوجدنا تلك الصلة الوثيقة التي أشرت إليها من خلال تعليقاتهم عن مصنفات نحاة البصرة، وإعجابهم وتأثرهم بالنحو البصري وأركانه، الذي اتسم بخصائص مميزة في التفريعات والتفصيلات في الأصول على يد ابن السراج وأبي على الفارسي والتي سماها المحدثون (المدرسة القياسية) . كما نلاحظ الاستقلال الفكري لنحاة الأندلس في معالجة المسائل النحوية، واتخاذ موقف متميز لا يخرجهم عن أصول النحو البصري وإن لهم اجتهادات خاصة حاولوا أن يعكسوا من خلالها استقلاليتهم.

كذلك نلاحظ الاستعانة بالمنطق في طرح المسائل واستخلاص الفوائد والموزانة بين الآراء.

إضافة إلى ذلك اتساعهم في القياس حتى جعلوه دأبهم لأن " النحو كله قياس".[(١)]

---

(١) لمع الأدلة ابن الأنباري ص ٤٤ مصدر سابق.

الفصل الرابع

الاتجاه البصري في الاحتجاج اللغوي

عند نحاة الأندلس

المبحث الأول: **الاحتجاج بالقرآن والقراءات القرآنية**

المبحث الثاني: **الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف**

المبحث الثالث: **الاحتجاج بالشعر العربي**

الفصل الرابع

الاتجاه البصري في الاحتجاج اللغوي عند نحاة الأندلس

مدخل:

رغم الظروف السياسية المضطربة، التي مرت بهـا الأنـدلس، إلا أن علماءها استطاعوا أن يكونوا مذهباً نحوياً خالصاً، برز فيه مشـايخ أجـلاء ساهموا في مزجه بمميزات المذاهب الأخرى .

وتميز المذهب الأندلسي النحوي بالآتي:

أولاً: تيسير النحو: إذ أن نحاته يسعون لشرح وتيسير الكتب المطوّلـة وإزالة الغموض عنها حتى تسهل دراستها وفهمها.

ثانياً: الاستشهاد بالقرآن الكريم والسنة النبوية وهذا الجانب اتفـق فيـه نحاة الأندلس مع نحاة المدارس والمذاهب النحوية الأخرى وسيأتي الحـديث عنه لاحقاً.

ثالثاً: القياس: لم يردوا القياس –كما أسلفت– ذلك لأن القياس ظهر أول ما ظهر في الدراسة النحوية بحكم الفطرة والسجية(١) فمن الطبيعي أن يقارن الإنسان بين الأشياء فيعرف منها ما اشتبه وما اختلف ثم يستنبط مـن ذلـك أصوله ومقاييسه.

رابعاً: التعليل: وقد أفضت في الحديث عنه في الفصل الثالث.

خامسا: الاستشهاد بالقراءات: فقد أكثر نحاة الأندلس مـن الاستشـهاد بالقراءات المتواترة منها والشاذة وسيرد الحديث عنها مفصلاً في ثنايا هـذا المبحث.

---

(١) المدرسة النحوية في مصر والشام ص ٥٤.

لم يخالف نحاة الأندلس من سبقوهم في قضية الاحتجاج اللغوي الــذي بنوا عليه قواعدهم وأصولهم النحوية، فقد تابعوا الأقــدمين فـــي الاستشـــهاد بالقرآن والقراءات القرآنية والحديث النبوي وأشعار العرب وسأفصل الحديث عن مصادر الاحتجاج عند الأندلسيين فيما يلي:

المبحث الأول

الاحتجاج بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية

القرآن الكريم هو ذروة الفصاحة، والأعجاز والسلامة اللغوية.

يحتج النحويون به في إقامة القواعد الكُلية للسان العربي . ولا أعلم في ذلك خلافاً بين القدامى والمحدثين.

أما القراءات القرآنية فقد صرح السيوطي في كتاب الاقتراح بجواز الاحتجاج بالقراءات القرآنية، سواء أكانت متواترة، أم آحاداً أم شاذة .

وذلك للاعتداد بها في إقامة القواعد الكلية للسان العربي ما لم تخالف قياساً معروفاً. [١]

بل ذهب السيوطي إلى أبعد من هذا فقال: (ولو خالفته يُحتج بها) [٢]. إلا أن بعض النحاة كالفراء والمبرد، طعن في بعض القراءات القرآنية .

ووصفوا هذه القراءات بالضعف، أو الغلط، أو اللحن أو الشذوذ، أو نحو ذلك[٣]، بينما دافع نحاة آخرون عن هذه القراءات، دفاعاً قوياً كأبي حيان الأندلسي وابن هشام الأنصاري.

---

(١) الاقتراح في علم أصول النحو: ص ٤٨ مصدر سابق.

(٢) الاقتراح: ص ٤٨.

(٣) النكت الحسان في شرح غاية الإحسان لأبي حيان تحقيق د. ملك محمد حسن إسماعيل، ص ٢٠٣ د.ت.

يقول ابوحيان: "ولسنا متعبدين بأقوال أهل البصرة"[١] ويقول ابن هشام "مرجع القراءة الرواية لا الرأي"[٢] ومعنى هذا لا يجوز عندهما الطعن في القراءة؛ لأن القارئ يروى كما سمع ولا يجتهد .

وبعضهم يرى أن هذه الطعون تمثل أحرفاً معدودة كما ذكر شوقي ضيف حين علّل لهذه الطعون قائلاً: "وينبغي أن نعرف أن الفراء ومن تابعه من البصريين لم يكونوا يقصدون إلى الطعن من حيث هو إنما كانوا يثبتون ويتوقفون في مواضع التوقف حين يعييهم أن يجدوا للقراءة الشاذة ما يسندها من كلام العرب".[٣]

والرأي عندي إن ما ذهب إليه شوقي ضيف هو القول الصحيح الذي يحدد ملامح العلاقة بين النجاة، والقُرّاء، التي غالى بعض المعاصرين في عرضها على أنها معركة بين هذين الطرفين، أمثال الدكتور أحمد مختار عمر الذي صور هذه العلاقة بأنها عدائية تمثل النحاة جميعهم[٤] .

إنّ ما ذهب إليه (أحمد مختار) لا يصور موقف النحاة جميعهم؛ لأن بعض النحاة قد طعن في بعض القراءات، وآخرون دافعوا عنها دفاعاً قوياً كأبي حيان وابن مالك الأندلسيين[٥] . ثم إن أئمة النحو الأوائل كانوا أيضاً أئمة في القراءات القرآنية كأبي عمرو بن العلاء والكسائي مثلاُ، ولكن حين استقل النحاة عن القُراء وجدنا أن النحاة يعمدون إلى رفض بعض القراءات.

---

(١) البحر المحيط:٧٤/٤.

(٢) شرح قطر الندى وبل الصدي:لبن هشام ص ٢٤٥ تحقيق محمد محي الدين ط ١ ١٩٦٣م المكتبة التجارية.

(٣) المدارس النحوية ص ٢٢٣.

(٤) البحث اللغوي عند العرب: د. أحمد مختار عمر ص ١٠ دار المعارف مصر ١٩٧١م.

(٥) الاقتراح ص ٤٩.

وهكذا اتسعت الشقة بين الفريقين، وظهر ما يُسمي بالقراءات الشاذة التي نقل صحة سندها وروايتها عن بعض أئمة القراءات من القدماء.

وخلاصة الأمر لنا أن نشير إلى أن النحو تقوم قواعـده علـى القـرآن والحديث، وكلام العرب الموثوق به، فالنحاة لم يغفلوا المادة القرآنيـة، بـل جعلوها رأس ما يُحتج به، فاللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما فـي غير القرآن. [١]

فابن حزم يعجب من منهج النحاة الذين إذا وجدوا لامـرئ القـيس أو زهيراً أو جريراً... الخ لفظاً أخذوا به، ثم إذا وجدوا لله تعالى كلاماً لم يلتفتوا إليه[٢]، وأبو حيان الذي يقول: "ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة ولا غيرهم مما خالفهم"[٣] ، فهؤلاء جميعهم جعلوا القرآن أصلاً من أصول النحو واللغة، ولكن عند تقعيد قواعد اللغة، لابد من النظر إلى القرآن وإلى كلام العـرب؛ لأن الغاية هي إقامة نحو عربي للسان العربي .

ولا يجوز الاقتصار على القرآن وحده، وعليه فاستبعاد النحـاة لـبعض القراءات – في رأيي– قائمة على عدم إنكار القراءة والطعن فيها، بـل هـو مراعاة لضبط اللغة وصونها من اللحن الذي كان فاشياً.

فمن المفيد هنا أن أوضح موقوف نحاة الأندلس من القـراءات والأخـذ بها:

---

(١) نظرية النحو القرآني: د. أحمد مكي الأنصاري ص ٤١ دار القبلة للثقافة الإسلامية ط ١، ١٤٠٥هـ.

(٢) السابق ص ٤٢ الأحكام ابن حزم ٤٣/٣.

(٣) البحر المحيط ٧٤/٤.

فموقف نحاة الأندلس من القراءات القرآنية كان موقفاً وسطاً بين موقف نحاة البصرة الذين يتشددون في الأخذ بها، ويتمسكون بأصولهم وقواعدهم التي أقاموها على استقراء ما سمعوه وما ورد من كلام العرب، وبين نحاة الكوفة الذين أخذوا بكل قراءة قرآنية:متواترة أو شاذة. (١)

وقد تمثل موقف الأندلسيين هذا في الأخذ بالقراءات الشاذة والاستشهاد بها، والدفاع عنها ضد من حاول الطعن فيها.

وقد قسَّم القُراء القراءات القرآنية إلى: متواترة وآحاد وشاذة، وجعلوا المتواترة "هي التي، نقلها جمعٌ لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاها(٢)" وهي القراءات السبع، أما الآحاد فهي ما صح سندها، وخالفت الرسم أو العربية، أو لم تشتهر الاشتهار المذكور، وهي القراءات الثلاثة المتممة للعشر(٣) . والقراءة الشاذة هي ما لم يصح سندها. (٤)

وما يلزم توضيحه هنا القراءات الشاذة . إذ لم يؤثر عن نحاة الأندلس من ردّ إحدى القراءات الشاذة، أو توقف في الأخذ بها، وقد استشهد عدد من نحاة الأندلس بالقراءات الشاذة ومن أمثلة ذلك:

استشهاد ابن عصفور بالقراءة الشاذة في حديثه عن مجئ الأمر للمخاطب باللام إذ يقول: "وقد يجي الأمر للخطاب باللام وإن كان الفعل مسنداً للفاعل فيكون إذ ذاك مجزوماً، ومن ذلك قراءة زيد بن ثابت وأبي بن

---

(١) الاقتراح: ص ١٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٧٥/١.

(٣) الإتقان: ٧٥/١.

(٤) المحتسب: لابن جني تحقيق على النجدي ود. عبدالفتاح شلبي ٣٢/١، القاهرة ١٩٩٢م.

كعب: ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾[1] "[2] وتبعه أبوحيان في ذلك[3] أما جمهور النحـــاة فلم يجيزوا ذلك؛ لأن لام الأمر لا تدخل على المضارع إلا إذا كان مبـــدوءاً بالياء، وقالوا عمن قرأها بالتاء إن ذلك قليل لا يعتد به. [4]

وأبوعلى الشلوبين[5] يقول في حديثه عن حذف العائد:

"ويكون في الموصولات الاسمية في حال السعة أن يحذف العائد منهـــا إذا كان مبتدأ فتجئ موصولة بأحد جزأي الجملة الاسمية نحو قولك: مـــررت بالذي قائم وعليه قراءة من قرأ: ﴿ مَّا بَعُوضَةٌ ﴾[6] " وهي قراءة شـــاذة علـــى مذهب البصريين الذين اشترطوا لحذف العائد طول الصلة، وقد حذف العائد هنا مع أن الصلة ليست طويلة، أما القراءة المشهورة لهذه الآية فهي بنصـــب (بعوضة) على أنها صفة لــ(ما) أو عطف بيان من (مثلاً) أو بـــدل منـــه أو مفعول بيضرب. [7]

---

(١) سورة يونس الآية ٥٨.

(٢) شرح الجمل ابن عصفور: ص ٦٥.

(٣) الارتشاف: ١٤٨٥ تحقيق رجب عثمان محمد مراجعة رمضان عبدالتواب مكتبة الخانجي القاهرة، د.ت.

(٤) شرح التسهيل: لابن مالك ٦٠/٤ تحقيق عبدالرحمن السيد د.محمد بـــدوي مختـــون ط ١ ١٩٩٢م.

(٥) سبق ترجمته ص من هذا البحث.

(٦) سورة البقرة الآية ٢٦ وينظر كتاب السبعة: لابن مجاهد ص ١٤٦ وينظرالتيســـير فـــي القراءات السبع: للداني وهي قراءة حفص ص ٤٣.

(٧) الكشاف: للزمخشري ٤٠/١، المطبعة الشرقية ١٣٠٧هـــ.

كذلك استشهد الشربشي[1] بالقراءة الشاذة عندما تحدث عن مجئ الحال من النكرة قائلاً: "وقد جاءت الحال من النكرة وهو قليل ليشترط أن تكون النكرة موصوفة أو مضافة حتى تخصص فتقرب من المعرفة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡ عِنـدِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ ﴾[2] بالنصب في: ﴿ مُصَدِّقٌ ﴾ وهي قراءة شاذة. [3]

وذهب أبوحيان[4] إلى أنها قراءة إبراهيم بن أبي عبلة[5] وتعرب حينئذ حالاً، والذي سوغ مجئ الحال من النكرة وصفه بكونه من عند الله[6]. أما القراءة المشهورة فهي برفع (مصدقٌ) على أن التصديق صفة للرسول ﷺ.[7]

والرأي عندي أن القراءة الشاذة إذا اتصل سندها بقارئ عربي عاش في عصر الاحتجاج فعلى اللغوي أن يأخذ بها في احتجاجه.

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله جمال الدين الأندلسي المولود بشريش سنة ٦٠١هـ درس التفسير والفقه وأتقن العربية وأقام في دمشق حتى توفى سنة ٦٨٥هـ أشهر مؤلفاته "التعليقات العربية في شرح الدرة الألفية" ينظر ترجمته في بغية الوعاة ٤٤/١.

(٢) سورة البقرة الآية ١٠١.

(٣) التعليقات الوفية: للشريشي ٢٩٤/١ دار الكتب المصرية (مخطوط) ٦١.

(٤) البحر المحيط: ٣٢٥/١ مصدر سابق.

(٥) إبراهيم بن أبي عبلة ، عالم أديب فقيه ، عاش في العصر الأموي وكان من شدة تقواه يتجنب المناصب ، ترجمته في دائرة المعارف ، ٣١٦/٢ ، تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت ، ١٩٥٨م .

(٦) البحر المحيط: ٣٢٥/١.

(٧) المحتسب: ١١٨/١.

دافع نحاة الأندلس عن القراءات القرآنية التـــي تمثـــل المصـــدر الأول للاستشهاد والاحتجاج دفاعاً قوياً ضد كل من حاول الطعن فيهـــا[١] . ومـــن هؤلاء المدافعين ابن مالك الذي استمد شواهده من القرآن الكريم فإن لم يجـــد فمن الحديث النبوي الشريف وكان يرد على من وصف قراءة ما بـــاللحن . كما رد ابوحيان على كل من وصف قراءة قرآنية بالضعف أو اللحن ومـــن أمثلة موقفهما الدفاعي هذا دفاعهما عن قراءة ابن عامر لقوله تعالى:﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾[٢] حيث أنه رفـــع القتـــل ونصـــب الأولاد وجـــر الشركاء[٣] . وفي ذلك فصل بين المضاف والمضاف إليه بغيـــر الظـــرف، وأكثر النحويين البصريين منعوا الفصل بين المتضايفين بالمفعول وغيره في سعة الكلام .

وأجاز الكوفيون الفصل بغير الظرف والجـــار والمجـــرور، واحتجـــوا بحجج منها قراءة ابن عامر المذكورة أعلاه[٤] ، إلا أن ابن مالك أجاز الفصل بناءاً على قراءة ابن عامر، وفاقاً للكوفيين حيـــث قـــال: "الفصـــل معمـــول المضاف إذا لم يكن مرفوعاً جدير بأن يكون جائز أو في الاختيار ولا يختص بالاضطرار وأقوى الدلالة على ذلك قـــراءة ابـــن عـــامر﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ لأنها ثابتة بالتواتر"[٥] ثم أتي بشواهد شعرية على المســـألة

---

(١) الاقتراح ص ١٥.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٧ وينظر كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٢٧٠.

(٣) كتاب السبعة لابن مجاهد تحقيق شوقي ضيف ص ٢٧٠ دار المعارف، د.ت.

(٤) الإنصاف ٤٣٥ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد.

(٥) شرح التسهيل ٢٧٦/٣، ٢٧٧ تحقيق د. عبدالرحمن السيد مصدر سابق.

وصحح أبوحيان جواز المسألة مدافعاً عن قراءة ابن عامر لكونهـا جـاءت نظائره في أشعار العرب. [١]

كما صحح أبوحيان جواز عطف الاسم الظاهر على الضمير المجـرور دون إعادة الخفض مستنداً إلى قراءة حمزة في قوله تعـالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾[٢] بجر: "الأرحام"[٣] ، وإلى مثل ذلك ذهب ابـن مالـك وأجاز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض اسـتناداً علـى قراءة حمزة وكلام العرب[٤]. إلا أن البصريين ردوا هذه القـراءة وذكـروا وجهين في تخريجها[٥] وكان لمتقدميهم موقف متشدد منهـا؛ لأنهـا مخالفـة لأقيستهم وعلى رأسهم المبرد حيث قال: "... وقـرأ حمـزة: ﴿ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾ وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يضطر إليه شاعر".[٦]

والأمثلة كثيرة التي توضح دفاعهم عن القراءات القرآنية عامة . وتبرز هنا استقلالية أبي حيان وابن مالـك وعـدم ترديـدهما لآراء البصـريين، وترجيحهما لها، وتصحيحهما لهذه القراءات قائم على أنها قـراءة متـواترة وهي إحدى القراءات السبعة، ولوجودها أيضاً في لسان العرب.

وسبب عدم موافقتهما للبصريين في تقديري هو أن البصـريين نمـت قواعدهم ومقاييسهم في ظلال مادة لغوية بسيطة في أول أمرهم . مما جعـل

---

(١) البحر المحيط ٦٥٧/٤.

(٢) سورة النساء الآية ١.

(٣) البحر المحيط ٥٠٠/٣ وكتاب السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٦.

(٤) شرح التسهيل ٣٣٧/٣.

(٥) الإنصاف ٤٦٧.

(٦) الكامل للمبرد ٣٩/٣ الكتاب ٣٨١/٢.

مقاييسهم تضطرب مع مقاييس أخرى ونصوص، مما جعلهم يتشـــددون فـــي قبول القراءات، حتى قراءات العرب الخُلّص أمثال ابن عامر مقـــرئ أهـــل الشام، ومقرئ أهل الكوفة حمزة بن حبيب، ونافع مقرئ أهل المدينة؛ لأنها لا تتوافق مع مقاييسهم وأصولهم لهذا وقعت المخالفة بينهم وبين النحاة الآخرين كما أوضحت الأمثلة السابقة.

المبحث الثاني

الاحتجاج بالحديث النبوي الشريف

تناولت في الفصل الثاني من هذا البحث الحديث عن الحـــديث النبـــوي الشريف بوصفه مصدراً من مصادر النحو البصري . وما يلزم توضيحه هنا في هذا المبحث هو موقف نحاة الأندلس من هذه القضية وإيراد أمثلـــة تؤيـــد مواقفهم هذه .

فكثرة الاحتجاج أو الاستشهاد بالحديث النبوي الشـــريف هـــو إحـــدى مميزات النحو في الأندلس ولم يكونوا مبتدعين لهذا الأمر لكنهم أكثروا منه.

وقد ظهرت هذه السِمة بصورة واضحة عند كل من ابن خروف وابـــن مالك حسب ما أشار إليه كثير من القدامى والمعاصرين منهم ابـــن الضـــائع الذي قال معلقاً على ابن خروف: "... وابن خروف يستشهد بالحديث كثيـــراً فإن كان على معنى الاستظهار والتبرك بما روى عنهﷺ فحسن وإن كان يرى أن من قبله أغفل شيئاً وجب استدراكه فليس كما رأى...". (١)

وظاهر كلام ابن الضائع هو أن الاحتجاج بالحـــديث فـــي الدراســـات النحوية واللغوية لا يجوز، وذلك لأن علماء الحديث أجازوا الرواية بالمعنى، قال في شرح الجمل: "تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عنـــدي فـــي تـــرك الأئمة كسيبويه وغيره الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب ولولا تصريح العلماء بجـــواز النقـــل

---

(١) شرح الجمل: ابن الضائع /٥٦/١ دار الكتب المصرية د. ت وينظر خصـــائص مـــذهب الأندلس النحوية ص ١٥٦.

بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبـــيﷺ لأنـــه أفصح العرب. [١]

أما ابوحيان فقد قال بما قال به ابن الضائع فقــد تحـــرر مـــن مـــذهب البصريين في عدم الاستشهاد بالقراءات- كما أسلفت- مع أنه كان لا يســـمح لنفسه أن يخرج عن منهجهم إلا نادراً . وعلى الرغم من أن أبا حيان خـــرج عن أصول البصريين في الاستشهاد بالقراءات لم يسمح لنفسه أن يخرج عن أصولهم في الاحتجاج بالحديث الشريف . فقال في تعليقه على ابن مالك فـــي احتجاجه بالحديث: "فأما استدلاله بالأثر فتقول قد نهج هـــذا المصـــنف فـــي تصانيفه بالاستدلال بما وقع في الحديث في إثبات القواعد الكُلية فـــي لســـان العرب بما روى فيه وما رأيت أحداً من المتقدمين ولا المتأخرين سلك هـــذه الطريقة غير هذا الرجل. [٢]

فأبوحيان هنا سلك مسلك أساتذته البصريين، الذين اسقطوا من أصولهم الاستشهاد بالحديث وذلك، لأن الرواة جوزوا النقل بالمعنى . والأمر الثـــاني أنه وقع اللحن كثيراً فيما رُوى من الحديث، بخلاف ما ذهب إليه ابن مالـــك وبعض المتأخرين كابن هشام وابن خروف وابن سيده[٣] ،الذين أثبت العلماء بأن لهم فضل الاستشهاد بالحديث. وقد دافع الدماميني[٤] عن ابن مالك فـــي احتجاجه بالحديث الشريف فقال: "وقد أكثر المصنف من الاستدلال بالحـــديث

---

(١) شرح جمل الزجاجي لابن الضائع ٥٦/١-٥٧ وخزانة الأدب للبغدادي ٩/١ طبعة بولاق القاهرة.

(٢) التذييل والتكميل أبوحيان ص ٥-١٦٩.

(٣) هو: بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الإسكندراني ولد سنة ٧٦٣هـــ فاق في النحو وشرح التسهيل مات بالهند سنة ٨٢٧هـــ ترجمته في بغية الوعاة ٦٨/٢.

(٤) سبق ترجمته في الفصل الأول.

وشنع أبوحيان عليه لتطرق احتمال الرواية بالمعنى، ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى، إنما هو فيما لم يدوَّن، أما ما دُوّن وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه".[١]

(١) خزانة الأدب ٢٧/١ [بتصرف].

استشهاد الأندلسيين بالحديث:

استشهدت طائفة من نحاة الأندلس بالحديث النبوي الشريف في تقعيد قواعدهم النحوية، وممن احتج من علمائهم بالحديث ابن خروف – كما سبق توضيحه – فهو أول من أكثر من الاحتجاج بحديث النبيﷺ[1] كما جاء في حديثه عن اللغات الجائزة في "لمّا" . وبعضهم يقول " لمّا مشددة وحكى أبومحمد ثابت في الدلائل أن رسول اللهﷺ قال: (أتاني آتٍ من ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة إني اخترت الشفاعة قلنا: يا رسول الله: ننشدك الله والصحابة لما جعلتنا من أهل شفاعتك)" [2].[3]

كما استشهد ابن خروف بالحديث في باب العطف في قوله عن مجيء الواو بمنزلة "أو" في قولهﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه). [4]

كذلك استشهد أبوالقاسم الصفار[5] بالحديث في باب التنازع مؤيداً سيبويه فقال "زعم الفارسي أن قولهم: هو أحسن الفتيان وأجمله إنما أفردوا هنا المخمر لا كما قال سيبويه من أنه على معنى من ثم أو من ذكر بل لأن

---

(١) التذييل والتكميل لأبي حيان ١٦٩/٥ والاتجاهات النحوية في الأندلس للدكتور أمين السيد ص ٣٣٧.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه حديث رقم ٣٧ باب الشفاعة ، ينظر: ابن خروف شرح على الجمل.

(٣) خصائص مذهب الأندلس للهيثي ص ١٦٨.

(٤) صحيح البخاري ، كتاب القدر باب الله اعلم بما كانوا عاملين ، حديث رقم ١٤٤ ، حاشية السندي طبعة دار الفكر ، بيروت ، د.ت . وينظر خصائص مذهب الأندلسي ص ١٦٨.

(٥) هو: قاسم بن على بن محمد بن سليمان أبوالقاسم الصفار أخذ النمو من ابن عصفور والشلوبين شرح كتاب سيبويه توفى سنة ٣٣هـ ينظر ترجمته في بغية الوعاة ٥٦/٢.

الموضع يقع فيه للمفرد فتقول: هو أجمل فتى فهذا أولى على ما ذكره سيبويه والصحيح أن الإفراد في هذا هو على معنى من ذكر والذي يدل على ذلـــك– السماع– ألا ترى قولهﷺ: (خير النساء صوالح نساء قريش أحناها على ولـــد وأرعاها على زوج في ذات يده)[1].[2] فالتقدير عند سيبويه في قولـــه: (هـــو أحسن الفتيان وأجمله هو أحسن الفتيان من ذُكر) [3] وذلك كي لا يخلوا الفعل من الفاعل ظاهراً كان أو مضمراً . وجاء الحديث مؤيداً ما ذهب إليه سيبويه وتبعه ابن خروف.

كذلك استشهد الشلوبين بالحديث النبوي في باب الجوازم معلقاً على كلام الجزولي قائلاً: "ولام الأمر والدعاء إذا بُني الفعل معهمـــا للمفعـــول لزمتـــه مطلقاً" [4] يقول: "قوله لزمته مطلقاً أي سواء أكان المفعول متكلماً أم مخاطباً أم غائباً مثاله: لأعلم كذا ولتوضع في تجارتك وليضرب زيد وقوله مسنداً إلى ياء المتكلم مثاله: لأفعل كذا على معنى الرأفة ومنه قوله ﷺ: قوموا فلأصـــل بكم". [5]

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٦/١١ باب إلى من ينكح وأي النساء خير .

(٢) كتاب سيبويه ٥٤/١ وخصائص مذهب الأندلس ص ١٦٨.

(٣) الكتاب ٥٤/١.

(٤) المقدمة الجزولية أبوموسى الجزولي ص ٢٥ المكتبة التيمورية.

(٥) ينظر صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، كتاب الصلاة ، بـــاب الصلاة على الحصير حديث رقم ٣٨٠ وينظر : شرح الجزولية الصغير للشلوبين ص ٣٩ (مخطوط) والتوطئة ص ٨٥.

واللورقي[١] احتج أيضاً بالحديث الشريف كسابقيه وذلك في حديثه عن حذف ياء (ثمان) وفتح نونها قائلاً: "ومما جاء في الحديث (صلٍ ثمان ركعات). [٢]

كما كان ابن عصفور من بين أولئك الذين احتجوا بالحديث كما قال في باب النداء مثلاً: قال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يلي أمر الناس لكع بن لكع) ولكع هذا ليس هو الذي اختص بالنداء وإنما هو صفة مثل: حُطم ولُبد[٣] فابن عصفور احتج بهذا الأثر وجعله شاهداً على عدم اختصاص لكع بالنداء؛ لأنها قد خرجت هنا عنه فجاءت فاعلاً مرفوعاً.

أما ابن مالك فيُعد خير مثال للذين أكثروا من الاحتجاج بالحديث الشريف أليس هو واضع كتاب (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) الذي حاول من خلاله حل الإشكالات التي وقعت في الأحاديث على أساس قواعد النحو العربي، وهو الذي أبدل عبارة سيبويه "أكلوني البراغيث" بقولهﷺ (يتعاقبون فيكم ملائكة). [٤]

ومن أمثلة استشهاده بالحديث قوله في جواز رفع المستثني بعد إلا: "ومنها قول أبي هريرةﷺ سمعت رسول اللهﷺ يقول: (كل أمتي معافي إلا

---

(١) هو القاسم بن أحمد بن الموفق أبومحمد المعروف باللورقي ولد سنة ٥٧٥هـ كان إماماً في العربية والقراءات له عدة مؤلفات أهمها شرح الجزولية والمباحث الكاملية توفى بدمشق سنة ٦٦١هـ ينظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/٢٥٠.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه كتاب الصلاة ١/١٠١ باب من لم يتطوع بعد الصلاة المكتوبة ، وينظر المباحث الكاملية للورقي ٢/٦٦ دار الكتب مصر د.ت.

(٣) شرح الجمل لابن عصفور ص ٦٥.

(٤) صحيح البخاري كتاب العلم الباب ٤٠ حديث رقم ٧١٧٨ .

المجاهرون) [١] قلت: حق المستثني بإلاّ من كلام تام موجب أن ينصب مفرداً كان أو مكملاً معناه بما بعده ولا يعرف أكثر المتأخرين من البصريين في هذا النوع إلا النصب وقد أغفلوا وروده مرفوعاً بالابتداء ثابت الخبر ومحذوفه". [٢]

كما استشهد بالحديث النبوي في كلامه عن مجيء (رُب) للتكثير قال: "أكثر النحويين يرون أن معنى "رُب" التقليل والصحيح أن معناها في الغالب التكثير نص على ذلك سيبويه ودلت شواهد النظم والنثر عليه فمن ذلك قولهﷺ: (رُب كاسية في الدنيا عارية بالآخرة)[٣] فليس المراد هنا أن ذلك تقليل بل المراد أن الصنف المتصف بهذا من النساء كثير.... "[٤]

هذه نماذج مختارة من المسائل التي استشهدوا فيها بالحديث النبوي الشريف . ويلزم هنا توضيح سبب كثرة استشهاد هؤلاء النحاة بالحديث، هو أن هؤلاء النحاة لم يكن أمامهم مجالٌ للرواية عن العرب المعاصرين لهم؛ نتيجة لتحديد فترة الاحتجاج بكلام العرب شعراً ونثراً بنهاية القرن الثاني للهجرة بالنسبة للحضر، وبنهاية القرن الرابع بالنسبة للبدو.

وبذلك لم يقف نحاة الأندلس على كلام العرب بحكم هذا الميقات الزماني، ولبعدهم الجغرافي عن مناطق الأعراب التي كان قدامى النحاة يأخذون عنهم اللغة، كما أن الحديث النبوي انتشر في الأندلس لكونه منبعاً من

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ستر المؤمن على نفسه ، ٦١/٤ ، طبعة دار الفكر بيروت ، د.ت.

(٢) شواهد التوضيح لابن مالك ص ٤١-٤٢ مطبعة القاهرة ١٩٥٧م.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم ٤٠ كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه .

(٤) شواهد التوضيح ص ١٠٤.

منابع الثقافة للعالم الإسلامي، فقد كان أهل الأندلس يرتحلون إلـى المدينـة المنورة لزيارة قبر الرسولﷺ ، ولتلقي العلم من أهلها . فلذلك انتشـر علـم الحديث في بلاد الأندلس[1] ، واهتموا به اهتماماً كبيراً بجانب اهتمامهم بغيره من فروع اللغة العربية.

ومن هنا يظهر لنا أن هذه الطائفة من نحاة الأنـدلس الـذين احتجـوا بالحديث، لم يسيروا في ركب البصريين الذين أسقطوا الحديث مـن أصـول استشهاداتهم.

إلا أننا نلاحظ تأثر بعض النحاة بالمذهب البصري في هذه القضية، على النقيض تماماً من الطائفة السابقة الذكر. فإذا كان ابن مالك خير مثال للـذين احتجوا بالحديث النبوي من نحاة الأندلس، فابن الضـائع كـان علـى رأس المانعين والمعارضين لهذه القضية وتبعه أبوحيان في ذلك، إلا أن ابن الضائع رغم وقوفه ضد هذه القضية ومجيزيها، فإن هذا لم يمنعه مـن أن يستشـهد بالحديث ومن ذلك ما قاله في حديثه عن اللام الفارقة: "…. وعلى ما جـاء من قول الشاعر:

هبلتك أمُّكَ أنْ قَتَلْت لَمُسلِماً[2] قال: … والصحيح عندي على أنها لام الابتداء لما ورد في قولهﷺ (قد علمنا أن كنت لمؤمنا) [3].

---

(١) ضحى الإسلام أحمد أمين ٧٥/٢ طبعة القاهرة ١٩٣٥م.

(٢) قائلته: عاتكة بنت زيد الصابي وتتمة البيت [حلت عليك عقوبة المتعمدِ] ينظـر الـدرر ١١٩/١ وخزانة الأدب ٣٧٣/١٠.

(٣) شرح الجمل لابن الضائع ١٠/٢.

أما أبوحيان فقد أسهب في تعليل ما ذهب إليه من منع الاستشهاد بالحديث وقد سبق ذكره- ومع ذلك لم نلبث أن نجد في كتبه استشهاداً بالحديث في أمور لغوية وقواعد نحوية من ذلك:

يقول في تفسيره لقوله تعالى:﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾[1] "وقرأ الحسن وفرقةٌ من القرَاء (يصهر بفتح الصاد وتشديد الخاء وفي الحديث (إن الحميم ليُصب على رؤوسهم فينفذ إلى الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان) [2].[3]

هذا مثال لاستشهاد أبي حيان بالحديث في أمور لغوية وقد استشهد به في أمور نحوية ومثاله:

يقول في حديثه عن أمثلة التفضيل: "فإذا كان مضافاً إلى معرفة فالذي عليه الجمهور أن أفعل إذا أُضيف إلى معرفة لا يخلو من التفضيل البتة ويكون بعض ما يضاف إليه وتارة تفرد إذا كانت مضافة كقوله تعالى:﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾[4] وتارة تجمع كقوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾[5] وفي الحديث: (ألا أخبركم بأحبكم إليَّ

(١) سورة الحج الآيات ١٩-٢٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٧٤/٣.

(٣) البحر المحيط ٣٦٠/٦.

(٤) سورة البقرة الآية ٩٦.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٢٣.

وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) [١] فأفرد (أحب) و(أقــرب) وجمع (أحاسن)... [٢]

كما استشهد بالحديث عندما تحدث عن مجيء (بيد) للاستثناء فقال: "فأما بيد فإنها تساوى غير في الاستثناء المنقطع مضافاً لأن وصلتها نحو قوله ﷺ: (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش واسترضعت من بني سعد)". [٣]

وخلاصة القول أن نحاة الأندلس انقسموا إلــى فــريقين أمــام قضــية الاحتجاج بالحديث فمنهم من أجاز الاحتجاج به كابن مالك وابــن خــروف ومنهم من منعه كأبي حيان وابن الضائع . ولعلهما في هذا الاتجــاه وافقــوا البصريين في هذا الأمر ودليل ذلك ما صرح به أبوحيان في قوله: (... وما رأيت أحداً من المتقدمين ولا المتأخرين سلك هذه الطريق غير هــذا الرجــل على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين الأحكام من لسان العــرب والمستنبطين المقاييس كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بــن عمــر والخليــل وسيبويه من أئمة البصرة لم يفعلوا ذلك). [٤]

وعليه نجد أنهم وقفوا موقفاً وسطاً أمام هذه القضية وهذا ما أشرت إليه في بداية هذا المبحث إذن الأثر البصري أو الاتجــاه البصــري فــي عــدم الاحتجاج بالحديث أظهر ما يكون عند أبي حيان وابن الضائع لأسباب ســبق ذكرها أما الطائفة التي اتخذت الوسط سبيلاً في هذا الأمــر فعلــى رأســها

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم ٧١ وفي مسند أحمد ٢٧٤/٣ باب حُســن الخلــق ومنهج السالم لأبي حيان ص ٤١١ طبعة ١٩٤٧م.

(٢) الارتشاف ص ٣٢٠.

(٣) فتح السالك:لأبي حيان ص ١٧٧.

(٤) التذييل والتكميل:لأبي حيان ١٩٨/٥ [بتصرف].

الشاطبي والسيوطي[1] وبقي لنا هنا أن نذكر رأي المجمع اللغوي وقراره في ذلك وفيما يلي قرار المجمع اللغوي الذي ملخصه الآتي:

- لا يحتج بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول كالكتب "الصحاح الستة" فما قبلها.

- يحتج بالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكر على الوجه التالي:

أ- الأحاديث المتواترة المشهورة.

ب- الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبادات.

ج- الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

د- كتب النبيﷺ.

هـ- الأحاديث المروية لبيان أنه كانﷺ يخاطب كل قوم بلغتهم.

و- الأحاديث التي دوّنها من نشأ بين العرب الفصحاء.

ز- الأحاديث التي عُرف من حال رواتها أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى.

ح- الأحاديث المروية بطرق متعددة وألفاظها واحدة. [2]

---

(١) الاقتراح /٥٢.

(٢) مجلة المجمع اللغوي ٤/٧.

المبحث الثالث

الاحتجاج بالشعر العربي

كما هو معلوم أن الاستشهاد أو الاحتجاج في علم النحو مــن الأمــور المهمة؛ لأن الشاهد هو الدليل على صحة القاعدة النحوية، مما دعــا علمــاء العربية للاهتمام بالشواهد النحوية، وبتحديد القبائــل العربيــة التــي يُعتــد بفصاحتها[١] .

فكتب النحاة غنية بالشواهد المتنوعة والمختلفــة مــن قرآن،وحــديث، وشعر، ونثر حتى غدا الاستشهاد أمراً تقليدياً يمارسه المصنفون في كل ما له علاقة مع تأثرهم بما حفظوا من القرآن، ومن الشعر، وبما وعوا من كتــب السابقين، فبعضهم أعطى الأولوية للشواهد القرآنية كما فعل ابن هشــام فــي "شرح شذور الذهب"، إذ بلغ عدد الشواهد القرآنية ست مائة وتسع وخمســين آية على حين استشهد بثلاث مائة وتسعة وثلاثين بيتاً فقط وســتة وعشــرين حديثاً .

أما سيبويه فقد أعطى الأولوية للشاهد الشعري في كتابه، حيــث بلــغ عددها ألفاً وخمس مائة بيت[٢]، واستشهد بثمانية أحاديث فقط[٣]، وعدد الآيات القرآنية أربع مائة وسبع وأربعين آية .

والاستشهاد بالشعر كثُر في كلام العلماء القدامى والمحدثين وهذا ما أكّده صاحب الصناعتين[٤] في سياق حديثه عن الشواهد الشعرية.

---

(١) سبك المنظوم وفك المختوم لابن مالك، تحقيق عدنان محمد سليمان ص ٦٣، دار البحوث للدراسات الإسلامية ط ١، الإمارات ٢٠٠٤م.

(٢) مراتب النصوص في الاحتجاج اللغوي: أحمد جلايلي ،مجلة الأثر ،كلية الآداب، الجزائر العدد الرابع ص ٣١، ٢٠٠٥م.

(٣) السابق: نفس الصفحة.

(٤) الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق مفيد قميحة ص ٤٧٠.

لابد هنا أن نشير إلى الفرق بين الاستشهاد والتمثيل والاحتجاج؛ لورود هذه الألفاظ في كثير من الكتب والبحوث، خاصة كتب النحو، وهذه المصطلحات تصب في معنى واحد، والتفريق بين هذه المصطلحات يعود إلى نوع النص، فإذا كان نصاً موثوق به في عصر الاستشهاد، فهو يندرج تحت ما يعرف بالاستشهاد أو الاحتجاج(١)، أما إذا كان النص مصنوعاً أو غير موثوق به، أو ساقه ممن لا يحتج بكلامهم فهو تمثيل للقاعدة وهدفه الإيضاح والبيان. (٢)

ومعنى هذا أن ما يرد تحت مصطلحي الاستشهاد والاحتجاج، يجب أن يكون من كلام العرب الموثوق بفصاحتهم، ليبرهن صحة القاعدة، أو الرأي.

ولفظ الاحتجاج يستعمل –غالباً– في المواقف التي تتطلب المغالبة والجدل بقصد نُصرة الرأي. (٣)

اعتمد النحاة في احتجاجهم على الأفصح من الألفاظ، والأسهل منها على اللسان؛ ولذلك اختاروا القبائل المقطوع بعراقتها في العربية' والمصونة من لسان الحضارة الأجنبية، وكانوا قد جعلوا لذلك معايير زمانية ومكانية دقيقة؛ للوثوق من صحة مآخذهم .

وقد تحدثت عن هذه المعايير في الفصل الثاني في معرض الحديث عن مصادر النحور البصري . هذه المعايير تُحمد على النحاة فكان الإطار الزماني والمكاني سياجاً لا يجوز أن يُتعدي إلى غيره، ولم يأخذوا عن أي وارد أو شارد من الأعراب، لكنهم أخذوا ممن يوثق بفصاحته، ووضعوا

---

(١) الرواية والاستشهاد باللغة:محمد عيد ص ١٠١ عالم الكتب القاهرة ١٩٧٢م.

(٢) السابق:نفس الصفحة.

(٣) الرواية والاستشهاد باللغة:محمد عيد ص ١٠٣.

شروطاً لهذه الفصاحة، وهي أن يكون القائل عربياً من قبيلة محددة مشـــهود لها بالفصاحة وصفاء اللغة[1]، ووفقاً لهذه المعـــايير قســـموا الشـــعراء إلـــى جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين أو مولدين. [2]

وقد أخذ أبونصر الفارابي[3] على عاتقه أمر تحديد القبائل التـــي يؤخـــذ عنها[4]، معللاً أن هذه القبائل لم تخالط غيرها من الأمم.

والواضح أن الشروط الموضوعة التي حددت القبائل المأخوذ عنها، إنها من وضع البصريين المتشددين في أخـــذهم، الحريصـــين علـــى مقاييســـهم وقواعدهم.

وما تقدم ذكره في الاحتجاج بكلام العرب يخص النحاة الأوائل، أما مـــا يخص المتأخرين من النحاة فقد تمسكوا بقول الفارابي –السابق ذكره– وعدّوا الخروج عنه عيباً. من ذلك: أن ابن مالك الأندلسي عندما اعتدّ بلغـــات لخـــم وجزام وغسان، عارضه أبوحيان وانتقده قائلاً: "ليس ذلك من عادة أئمة هذا الشأن"[5]؛ لأن المؤلفات القديمة رسمت الحدود الزمانية والمكانية للأخذ مـــن العرب .

فنحاة الأندلس ساروا على نهج السابقين لذلك فقد عاب أبوحيان على ابن مالك استشهاده بلغات لخم وغسان... الخ. قال أبوحيان مناصراً السابقين في

---

(١) عصور الاحتجاج في النحو العربي:محمد عُبادة ٢١٦/١ دار المعارف ١٩٨٠م.

(٢) الرواية والاستشهاد:محمد عيد ص ١٤٨.

(٣) هو: محمد بن أُوذلغ بن طرفان الفارابي (أبونصر) عارف باللغات ولد ســـنة ٣٣٩هـــــ بغاراب وتوفى بدمشق سنة ٨٧٤هـــ من تصانيفه (المدخل إلى علم المنطق) ترجمته فـــي معجم المؤلفين ٦٢٨/٣.

(٤) الحروف:لأبي نصر الفارابي تحقيق محسن مهدي ص ١٤٧ دار المشرق بيروت، د.ت.

(٥) الاقتراح:ص ٥٧ التذييل والتكميل ١١٦/٥ مصدر سابق.

عدم الاستشهاد بشعر المولدين: "وكيف يستشهد بكلام من هو مولد وقد صنف الناس فيما وقع له من اللحن في شعره".[1]

وذكر الثقات أن آخر من يحتج بشعره هو إبراهيم بن هرمة.[2]

فالمتأمل لكتب النحو العربي يلاحظ ظاهرة تكرر، وهي اعتماد النحاة على الشعر في الاستشهاد، فالشاهد الشعري هو الشاهد الغالب في دراسات النحاة المتقدمين والمتأخرين، باستثناء ابن مالك الذي اعتمد الحديث أكثر وأبوحيان الذي اهتم بإيراد الكثير من لغات القبائل في كتابه (ارتشاف الضرب).

لقد احتل الشاهد الشعري في القديم مكانة مرموقة، وقد صنف الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشعر ضمن أعلى الدرجات في قوله: (كان الشعر عِلْمُ قومٍ لم يكن لهم علم أصح منه)[3] ويؤكد ابن خلدون في مقدمته (أن الشعر كان ديواناً للعرب في علومهم وأخبارهم).[4]

وقف نحاة الأندلس على الشعر الذي يعتبر من أهم ينابيع الاستشهاد للشواهد اللغوية والنحوية، ولا أرى خلافاً في الاستشهاد به حيث مثلت الشواهد الشعرية غالبية كتبهم، ومؤلفاتهم اللغوية، وجعلوها أصلاً يقاس عليها في بناء القواعد النحوية واللغوية.

---

(١) تفسير البحر المحيط:لأبي حيان تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وعلى محمد معوض ٩١/١، ط ١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٣م.

(٢) هو: إبراهيم بن هارون الكناني القرشي من قيس غيلان أبوإسحق من الشعراء المخضرمين رحل إلى دمشق وتوفى سنة ١٧٦هـ ترجمته في الشعر والشعراء ٧٥٣/٢ وينظر علم اللغة مدخل نظري في علم العربية محمود عكاشة ص ١٠٦ د.ت.

(٣) العمدة في محاسن الشعر:لابن رشيق القيرواني ٨٦/١.

(٤) مقدمة ابن خلدون:ص ٦٦٠.

وقد استفاد نحاة الأندلس كغيرهم من النحاة من كلام العرب في عمليــة التقعيد النحوي، رغم بعدهم عن مصادر اللغة الأصلية في المشرق، وتــأخر ظهور الدرس اللغوي عندهم، الذي حرمهم من فرصة الرواية المباشرة عــن العرب المعاصرين لهم. (١)

ولكن بالرغم من ذلك فإن الأندلسيين لم يقصروا فيما يختص بالاستشهاد في قواعدهم بكلام العرب من شعر ونثر، وساروا على نهج الأقــدمين فــي الالتزام بالمعايير المذكورة، وعابوا الخارجين عنها وكما حدث بين ابن مالك وأبوحيان. فالسهيلي(٢) في كتابه (نتائج الفكر) استشهد بــالكثير مــن أمثــال العرب وكلامهم ووقف بالنظم عند عصر الاستشهاد. (٣)

ويذكر المتتبعون لتراثه إنه ارتضي تقسيم الشعراء لطبقات فأولاهم عنده في الاستشهاد بشعره (الجاهلي)، ثم من كان أقرب إلى عصره وأبعــد مــن عصر المولدين.(٤)

وقد استشهد السهيلي بشعر أبي تمام(٥) في عدة مسائل منهــا استشــهاده على مجيء الحال من المضاف إليه يقول ومنه قول أبي تمام:

والعلم في شهب الأرماح لامعةً * بين الخميسين لا في السبعة الشــهب(٦)

---

(١) الجمل اللغوية في المغرب:مصطفاوي عمار أحمد ص ٥٢ جامعة تلمسان، ٢٠٠٧م.

(٢) هو: عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي عالم من علماء اللغة ولد في مالقــه ســنة ٥٠٨هــ وتوفى سنة ٥٨٢هــ من مؤلفاته (الروض الأُنُف) والإيضاح والتبيــين ينظــر ترجمته في انباه الرواة ١٦٢/٢.

(٣) نتائج الفكر السهيلي:تحقيق محمد إبراهيم البنا ص ٢٢٤ دار الرياض للنشر د.ت.

(٤) السهيلي ومذهبه النحوي:أحمد البنا ص ٢٧٤.

(٥) ديوان أبي تمام:شرح محي الدين صبحي ٩٦/١ دار صادر بيروت د.ت.

(٦) السهيلي ومذهبه النحوي:ص ٢٧٤ وتاريخ الفكر ص ١٣٧.

فشواهد السهيلي لا تعدو عصر الاستشهاد إلا في القليل النادر، وكـذلك فعل ابن مالك الذي استمد شواهده من القرآن، فإن لم يجد عدل إلى الحـديث الشريف، فإن لم يجد فمن أشعار العرب وكلامهم.

فقد استشهد ابن مالك بعدد غير يسير من الشواهد الشعرية تعود لشعراء مختلف الطبقات، فاستشهد بشعر امرئ القيس[1] (جاهلي) للتدليل على أن ما يصدّر بـــ(رُب) لا يلزم كونه ماضي المعنى بل، يجوز مضيه وحضـوره واستقباله قال امرؤ القيس:

ألا رُبَّ يـــوم لـــك مـــنهن صـــالحٍ

ولا سِـيما يــومٌ بــدِارَهِ جُلجُــلِ[2]

كما استشهد ابن مالك بشعر المخضرمين في حديثه عن حذف الموصول المستغني عنه بصلته:

أمَـــنْ يهجـــو رســـولَ اللهِ مـــنكمْ

ويمدحُـــهُ وينصُـــرُه سَـــواءُ[3]

والشاهد في البيت (يمدحه) فقال يريد سواء حيث حذف الموصول وهي (من) وذلك لدلالة صلته عليه.

كذلك استشهد ابن مالك بشعراء الطبقة الثالثة الإسلاميين فـي مسـائل (نِعْمَ) وذكر البيت الآتي:

---

(١) هو: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي أشهر شعراء العرب يماني الأصل ولد في نجد سنة ٤٩٧م وتوفى سنة ٥٤٥هـ ترجمته في الأعلام ١١/٢ د.ط.

(٢) ديوان امرؤ القيس:ص ٣٢ دار صادر بيروت، د ت وينظر شواهد التوضيح لابن مالـك ص ١٣٥٤ طبعة القاهرة ١٩٥٧م وخزانة الأدب ٤٤٤/٣.

(٣) ديوان حسان بن ثابت:ص ٩ دار صادر بيروت، د.ت وينظر شواهد التوضيح لابن مالك ص ٣٤ وتذكرة النحاة، ص١٤٧.

تـــــذوّدْ مثـــــل زادٍ أبيـــــكَ فينـــــا

فـــنِعْمَ الـــزادُ زاد أبيـــك زادا[1]

والشاهد نعم الزادُ زاد حيث جمع بين الفاعل (الــزاد) والتمييــز (زاد) وهذا غير جائز عند البصريين. [2]

واستشهد ابن مالك في شواهد التوضيح بأبيات مجهولة القائل. [3]

أما بالنسبة لأبي حيان فقد كان كالبصريين في الســماع والأخــذ عــن القبائل، فليست القبائل كلها على درجة واحدة من الفصاحة والبلاغة، ومن هنا كان أبوحيان –المؤمن الاتجاه البصري في هذا الشأن– يعيب على ابن مالك عدم تحرّيه في النقل والتدقيق في قبول الرواية والنقل .

فمنهج أبي حيان في الاستشهاد أن المسألة أو القاعدة النحوية لابد لهــا من شواهد كثيرة منسوبة لقائل يصح الأخذ عنه، ويعتد بكلامه، ولا يؤمن كما يؤمن ابن مالك بان البيت أو البيتين يصح أن تقعد على أساسهما القواعد. [4]

كما رفض –أبوحيان– القياس على ما قلّ وروده وجاء في أبيات قليلة.

ومصنفاته كغيره من النحاة لم تخلُ من الشــواهد المتنوعــة [قــرآن، حديث، كلام العرب] فكتاباه (البحر المحيط) و(التذييل والتكميل) على ســبيل المثال لا يكادان يخلوان من الشواهد المتنوعة.

---

(١) قائله جرير ديوانه ص ١٢٩ تحقيق نعمان طه، ط ٣ دار المعارف مصر د.ت وينظــر خزانة الأدب:٣٤٩/٩ وشرح شواهد الإيضاح ص ٩.

(٢) التسهيل:لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات،ص ٤٥ دار الكتاب العربــي لجمهوريــة العربية المتحدة ١٩٦٧م.

(٣) شواهد التوضيح: ص ٢١، ٦٢، ٦٦، ٦٩، ١٠٩، ١١١، ١٠٨، ١٢١، ١٩٠، ٢١١.

(٤) أبوحيان النحوي: خديجة الحديثي ص ٣٣٤.

إذن لا خلاف في اتخاذهم كلام العرب حجة يتخذونها في تقعيد قواعدهم، ولكن الاختلاف هو في منهج كل واحد منهم في الاستدلال، ومدى التشدد في الأخذ عن القبائل، والالتزام بالمعايير التي وضعها الأوائل في قانون الاحتجاج اللغوي.

والناظر إلى التراث النحوي الأندلسي يدرك مدى حرص نحاة الأندلس على تتبع الشواهد، وتقصى الظواهر اللغوية فيها، كما كانوا يدققون في رواية الشواهد الشعرية، ويصدرون عليها بعض الأحكام من نحو قولهم: رواية شاذة غريبة،

كما كانوا ينظرون في صنعة الشعر، وطرق الأداء اللغوي عند الشعراء، حين يعرضون لما في الشواهد من قضايا نحوية وصرفية، ويحرصون أيضاً على الاحتجاج بكل ما هو منسوب إلى قائل موثوق بفصاحته .

أما النص غير الموثوق به فهو تمثيل للقاعدة، وهدفه الإيضاح والبيان، فقد تجاوزوا عصر الاستشهاد في بعض المسائل؛ لقصد بيان القاعدة وتثبيتها كما فعلوا في استشهادهم بشعر أبي تمام[١] والمتنبي[٢] وأبي نواس. [٣]

وخلاصة القول في الاحتجاج بالشعر والنثر من كلام العرب الأخذ برأي المجمع اللغوي[١]، بالاعتبارين الزماني والمكاني، وليكن القرآن هو الفيصل

---

(١) هو حبيب بن أوس الطائي شاعر أديب ولد سنة ١٩٠هـ وتوفى سنة ٢٣١هـ له ديوان الحماسة وخصائص جرير والأخطل ترجمته في معجم المؤلفين ص ٥٢٤.

(٢) هو أحمد بن الحسين الجعفري فاق أهل عصره في الشعر ولد بالكوفة سنة ٣٠٢هـ وتوفى سنة ٣٤٥هـ ترجمته في معجم المؤلفين ص ١٢٦.

(٣) هو: الحسن بن هاني أبونواس (أبوعلى) ولد بالأهواء بكوزخستان سنة ١٤٥هـ وتوفى ببغداد سنة ١٩٦هـ نشأ بالبصرة ترجمته في معجم المؤلفين ص ٥٩٦.

عند الاختلاف فهو هادينا ودليلنا، وعليه مقاييسنا في كل ما ورد مـــن كـــلام العرب وقد تكفل الله بحفظه وصونه من التحريف قال تعـــالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

---

(1) مجلة المجمع اللغوي العربي 1 /33 طبعة بولاق أكتوبر 1964م.

(2) سورة الحجر الآية 9.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأحمد الله كثيراً أن قدّر لي القيام بدراسة النحو الأندلسي، وجهود نحاته الذين أغنوا المكتبة بذخائر المؤلفات والمصنفات ونفائس الكتب والدراسات.

فعلى الرغم من الأحداث الدامية التي تعرضت لها الأندلس، إلا أننا نلمس حركة علمية ثقافية تستحق الإعجاب، فغدت الأندلس مركزاً للإشعاع العلمي والثقافي في الشرق والغرب، مما جعل عدداً من المعاصرين يعدّون الدرس النحوي في الأندلس مدرسة نحوية قائمة بذاتها، وجعلوا مخالطة نحاة الأندلس للنحاة السابقين وانتهاجهم منهج الاختيار من آراء البصرة والكوفة باعثاُ يؤدى إلى تشكيل مدرسة نحوية بعينها.

وحقيقة الأمر أن مثل هذا الصنيع من انتخاب آراء البصريين والكوفيين لا يشكل مدرسة نحوية بمفهومها المعروف؛ لذا فقد بسطت في الفصل الأول في هذا البحث شرحاً وافياً لمفهوم المدرسة النحوية، ثم أرّخت لنشأة النحو البصري وأصوله النحوية، وتعرضت في الفصل الثاني للحديث عن النحو الأندلسي وأطواره ومنهجه، ثم تحدثت في الفصل الثالث عن أثر المدرسة البصرية في أصول النحو الأندلسي، وبينت أن النحو الأندلسي لم يخرج عن أصول المدرسة البصرية النحوية، وأن هناك قواسم مشتركة كثيرة بين تناول الأندلسيين للقضايا النحوية، والمدرسة البصرية، وأن الآراء المنفردة التي اختلفوا فيها لا تُعد خروجاً عن أصول نحاة البصرة.

وفي الفصل الرابع تناولت قضية الاحتجاج اللغوي عند نحاة الأندلس، واستعرضت مواقف نحاة الأندلس من الاحتجاج بالقراءات، والحديث الشريف وأشعار العرب، وأوضحت أنهم ساروا على ما كان عليه الأقدمون من النحاة

في احتجاجهم بالقرآن وقراءاته، والحديث الشريف والشعر العربي، وأشــرت إلى مخالفة نحاة الأندلس للبصريين في الاحتجاج بالقراءات.

وبعد:

أستطيع بعد انتهائي من هذه الدراسة أن استخلص عدة أمــور ونتــائج أهمها:

أولاً: قال الأقدمون بوجود مدرستي البصرة والكوفة، وتابعهم في ذلــك جُل المحدثين، ووضعوا شروطاً لمقومات المدرسة النحوية.

ثانياً: إن إطلاق مصطلح "مدرسة نحوية" على الدراسات النحويــة فــي الأندلس، لا يخلو من المغالاة؛ لأن المدرسة النحوية ينتظمها مــنهج صــارم واضح المعالم، وطريقة محددة في التناول.

ثالثاً: إن القول بوجود مذهب نحوي أندلسي أمر لا ننكره، ونســلم بــه طالما أن هناك جهود نحوية مقــدرة، أســهمت فــي إذكــاء روح التــأليف والتصنيف والشروح، أبرز فيها نحاة الأندلس منهجهم النحوي الخاص.

رابعاً: إن معالم النحو الأندلسي ظهرت في أقدم مؤلــف وهــو كتــاب "الواضح في علم العربية" لأبي بكر الزبيدي.

خامساً: اكتملت شخصية النحو الأندلسي وظهرت ســماته فــي القــرن السابع الهجري، الذي يعتبر العصر الذهبي للإنتاج النحوي في الأندلس.

سادساً: أن الجهود التي قام بها نحاة الأندلس، وتمخضــت عنهــا تلــك الآراء والترجيحات، لم تخرجهم عن الأصول النحوية التي وضعتها البصرة في تقعيد القواعد النحوية.

سابعاً: انتهج الأندلسيون نهجاً جديداً في نحوهم، وهو الإكثار من الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، مما جعله سمة من سمات مذهب الأندلس النحوي.

ثامناً: إن نحاة الأندلس كثيراً ما تحرروا في بعض المسائل عن آراء البصريين كما رفضوا آراء الكوفيين.

بناءً على ما تقدم عرضه من نتائج فإنني أوصي بالآتي:

- أن يتعهد الباحثون في اللغة والنحو، والتراث النحوي الأندلسي بالعناية والدراسة المستفيضة، التي تكشف جهود نحاة الأندلس النحوية.

- أن يتناول الباحثون تلك النفائس من المؤلفات النحوية بالدراسة والتحقيق الدقيق.

- أن يؤصل الدارسون لتلك الحقبة التاريخية التي ازدهرت فيها الدراسات النحوية وتصاعد فيها الإبداع العلمي.

- أن تكون هناك دراسات مقارنة بين النحو الأندلسي، والمدارس النحوية الأخرى؛ لإبراز مواقف نحاة الأندلس ومناهجهم وآرائهم النحوية.

- كما أوصي بضرورة معالجة مفهوم المدرسة النحوية التي تفتقر إلى دراسة معاصرة، للتحرر من ذلك الخلط بين تلك المصطلحات التي تنتهي في نهاية الأمر إلى الدرس النحوي.

هذه هي أهم النتائج والتوصيات لهذا البحث وأسأل الله التوفيق وهو خير من يُسأل إنه سميع مجيب.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

رقم	الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
١.	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾	البقرة	٢٦	
٢.	﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ ﴾	البقرة	١٠١	
٣.	﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾	البقرة	٩٦	
٤.	﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾	النساء	١	
٥.	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾	الأنعام	١٢٣	
٦.	﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾	الأنعام	١٣٧	
٧.	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾	التوبة	٣٠	
٨.	﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ ﴾	يوسف	١٣	
٩.	﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾	يونس	٥٨	
١٠.	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	الحجر	٩	
١١.	﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾	مريم	٣٨	
١٢.	﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾	الحج	١٩، ٢٠	
١٣.	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾	غافر	٣٦، ٣٧	

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الشواهد الشعرية

رقم	الشاهد الشعري	القائل	البحر	الصفحة
	حرف الهمزة			
١	فمن يهجو رسول الله مِنكُمْ ويمدحُهُ وينصُره سواءُ	حسان بن ثابت	الوافر	
	حرف الباء			
٢	فاليوم قربت تهجُونا وتشتمُنا فاذهبْ فما بِكَ والأيامِ من عَجَبِ	مجهول النسبة	البسيط	
٣	والعلمُ في شُهُبِ الأرماحِ لامعةً بين الخميسينِ لا في السبعةِ الشُهُبِ	أبوتمام	البسيط	
	حرف الدال			
٤	تذود مثلَ زادٍ أبيك فينا فنِعْمَ الزادُ زادَ أبيك زادا	جرير	الوافر	
٥	تمناني ليقتلني لقيطٌ أعامٌ لك ابن صعصعة بن سعد	الأحوص بن شريح	الوافر	
٦	هبلتك أُمُك أن قتلتَ لمسلما حلتْ عليكَ عقوبةُ المتعمدِ	عاتكة بنت زيد الصحابي	الكامل	
٧	قنافذَ هداجونُ حولَ بيوتِهِمُ لما كان إياهُم عطيّةً عوّدّا	الفرزدق	الطويل	
	حرف الرّاء			
٨	فذلك إن يلقَ المنيةَ يلقَها حميداً وإن يستغن يوماً فأجدرِ	عروة بن الورد	الطويل	

حرف اللام				
٩	ألا رُبَ يومٍ لك مِنهُن صالحٍ ولا سيما يومٌ بدارة جُلجُل	امرؤ القيس	الطويل	
١٠	فألفيتُهُ غير مستعتب ولا ذَاكر اللهَ إلا قليلا	أبوالأسود الدؤلي	المتقارب	
حرف النون				
١٢	أعرفُ منها الأنفَ والعينانا ومنخرينِ أشبها ظبيانا	رؤبة بن العجاج	رجز	
حرف الياء				
١٣	ولأنت تفري ما خلقت وبعضُ القومِ يُخلق ثم لا يفري	زهير بن أبي سلمى	الوافر	

فهرس الأمثال

فهرس الأعلام

حرف الهمزة

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

الزبيدي	١١-٦٨
الزجاجي	٢٧ -٨٨

حرف السين

ابن السّراج	١٠-١٠٤
السهيلي	٦٣-١٣٥-١٣٦
سيبويه	٨-١٦-٢٢-٢٣-٢٨-٣٦-٣٨-٤١-٤٢-٤٤-٤٨-٤٩-٧٤-٥٣-٨٠-٨٣-٨٨-٩٠-٩٣-١٠٠-١٠٢-١٠٦-١١٧-١٢٣-١٢٤-١٢٩
السيرافي	١٠ -٧٥

حرف الشين

الشاطبي	٣٥-١٣٠
الشريشي	١١٦
الشلوبين	١٠١ -١٠٥-١١٥-١٢٤

حرف الصاد

ابن الصفّار	١٠١ -١٢٣

حرف الضاد

ابن الضائع	٣٤-٩٥-١٢٠-١٢٧-١٢٩

حرف الطاء

أبو الطيب اللغوي	١٥

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

ابن مالك	٣٥-٧٨-٧٩-٨٢-٨٣-٩٧-٩٩-١٠٠-١٠٣-١٠٤-١٠٦-١١٣-١١٧-١١٨-١٢٠-١٢١-١٢٧-١٣٤-١٣٦-١٣٨
المتنبي	١٣٩
المبّرد	٤١-٤٢-١٠٤-١١١-١١٨
مبرمان	١٠
ابن مضاء	٤٤-٧١-٧٩-٨٥-٨٦-٨٧-٨٨-٩٤-٩٦-٩٨
المفضل الضبي	٧٥

حرف النون

النابغة	٤٠
النحّاس	٣٣
أبو نواس	١٣٩

حرف الهاء

ابن هشام	٣٥-١١١-١١٢

حرف الياء

يحي بن خالد البرمكي	٧٤
يحي بن عبد الرحمن	٥٣
يحي بن يعمر	٢١
يونس بن حبيب	٢٢-٣٦

فهرس المصادر و المراجع

* القرآن الكريم

رقم	المرجع
	حرف الألف
(١)	الاتجاهات النحوية في الأندلس، أمين السيد، القاهرة، ١٩٧٥م
(٢)	الاتجاهات النحوية في الأندلس، د. أمين السيد، دار العلوم، القاهرة،د ت
(٣)	الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال)، طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥١م
(٤)	أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط١، دار الاستقامة ١٩٧٧م
(٥)	ارتشاف الضرب (مخطوط) دار الكتب المصرية (١١٠٩ نحو)
(٦)	ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبوحيان، (أثير الدين محمد بن يوسف)، تحقيق رجب عثمان محمد، مراجعة رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة،د ت
(٧)	ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق مصطفى أحمد النماس، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٤هـ
(٨)	أسرار العربية، إبراهيم أنيس، ط٣، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٦م
(٩)	الإسلام في أسبانيا، د. لطفي عبدالبديع، طبعة القاهرة ١٩٦٩م
(١٠)	إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني تحقيق د. عبدالمحيد دياب، السعودية مركز البحوث والدراسات الإسلامية ط ١ ١٩٨٦م
(١١)	أصول التفكير النحوي، على أبوالمكارم، مطبعة دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م

(١٢)	أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأي ابن مضاء، د. محمد عيـد، عـالم الكتب القاهرة ١٩٧٨م
(١٣)	أصول النحو العربي في نظر النحاة، محمد عيد، عالم الكتب ١٩٨٢م
(١٤)	الأصول في النحو، ابن سراج، (محمد بـن السـرى أبـوبكر)، تحقيـق د. عبدالحميد الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١ ١٤٠٥هـ
(١٥)	الأصول، د. تمام حسان، ط ١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨١م
(١٦)	إعراب القرآن، أبوجعفر النحاس، تحقيق زهير غازي، مطبعة العاني، بغـداد ١٩٧٧م
(١٧)	الأعلام، خير الدين الزركلي، القاهرة ١٩٢٧م
(١٨)	الأعلام، طبعة ١٦، ٢٠٠٥م
(١٩)	الاقتراح في أصول النحو، السيوطي، (جلال الدين عبدالرحمن بـن الكمـال) طبعة حيدر أباد ١٣١٢هـ، طبعة دار المعارف، سوريا، د ت
(٢٠)	الاقتراح للسيوطي، (جلال الدين بن عبدالرحمن بن الكمـال)، طبعـة الهنـد ١٣٥٩هـ
(٢١)	أنباه الرواة، للقفطي، (جمال الدين على بن يوسف)، تحقيق محمد أبوالفضـل إبراهيم، دار الفكر، ط ١ القاهرة ١٩٨٦م
(٢٢)	الإنصاف في مسائل الخلاف، ابن الانباري، (عبدالرحمن بن محمد)، طبعـة برلين ١٩١٣م
(٢٣)	الإنصاف، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، ط٤، ١٩٦١م
(٢٤)	الإيضاح في علل النحو، الزجاجي (عبدالرحمن بن إسحق)، طبعـة القـاهرة ١٩٥٩م
(٢٥)	البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر، طبعة القاهرة، ١٩٧١م

(٢٦)	البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، مطبعة السعادة، مصـــر، ١٩٢٨هـــ
(٢٧)	البداية والنهاية، ابن كثير (إسماعيل بن عمر)، دار السعادة، مصر، د ت
(٢٨)	بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، (الضبي أبوجعفر أحمد بن يحيى بن أحمد)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م
(٢٩)	بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي (أبوجعفر أحمد بن يحيى بن أحمد)، طبعة مدريد، ١٩٨٤م
(٣٠)	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، دار الفكر، بيروت
(٣١)	بغية الوعاة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البـــابي الحلبـــي، ١٩٦٤م
(٣٢)	البيان والتبيين، الجاحظ،(عمرو بن بحر)،تحقيق عبدالسلام هـــارون، مكتبـــة الخانجي، ط ٥، القاهرة ١٩٨٥م.
(٣٣)	تاريخ آداب العرب، الرافعي مصطفى الصادق، طبعة الاســتقامة، القـــاهرة، ١٩٥٤م
(٣٤)	تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٣٠م
(٣٥)	تاريخ الإسلام السياسي، حسن إبراهيم طبعة النهضة، ١٩٦٥م
(٣٦)	تاريخ الأندلس، يوسف أشباح، طبعة القاهرة، ١٩٤٠م
(٣٧)	تاريخ التعليم في الأندلس، د. عيسى محمد، ط ١، دار الفكر العربي، ١٩٨٢م
(٣٨)	تاريخ العلماء والرواة في الأندلس، عبدالله بن محمد بن القرفي، تحقيق روحية عبدالسلام، ط ١، بيروت، ١٩١٧م
(٣٩)	تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، تحقيق مصطفى عبـــدالقادر عطـــا، ط ٢، بيروت، دار الكتب العلمية ٢٠٠٤م .

(٤٠)	تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي، أبوالوليد (عبدالله بن محمد الأزدي)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م
(٤١)	تاريخ الفكر الأندلسي، أنجل بلانتيا، ترجمة حسين موانس، القاهرة، ١٩٥٥م
(٤٢)	التذييل والتكميل، أبوحيان الأندلسي، دار الكتب المصرية، مخطوط (نحو)
(٤٣)	تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك أبوعبدالله (جمال الدين محمد بن عبدالله)، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي، ١٣٨٨هـ
(٤٤)	التسهيل طبعة الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨م
(٤٥)	تطور الدرس النحوي في الأندلس، وائل أبوصالح، جامعة الإسكندرية، مصر، ١٩٨١م
(٤٦)	التوضيح والتكميل في شرح ابن عقيل، تحقيق محمد عبدالعزيز النجار، دار الكتاب العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ت
(٤٧)	التوطئة في النحو، أبوعلى الشلوبين (عمر بن محمد بن عمر)، المكتبة التيمورية، مخطوط، (٥٣ نحو)
(٤٨)	حاشية الصبان، للأشموني، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٧م
(٤٩)	الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (الحسن بن أحمد أبوعبدالله)، ط ٢، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٩٧٧م
(٥٠)	الحجة، أبوعلي الفارسي، تحقيق بدرالدين قهوجي، دار المأمون للتراث، د ت
(٥١)	الحركة اللغوية في الأندلس، البير حبيب مطلق، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٥٧م
(٥٢)	الحروف، أبونصر الفارابي، (محمد بن أوزلغ) تحقيق محسن نصر، دار المشرق، بيروت، د ت
(٥٣)	الحياة الأدبية في البصرة، د. كمال أحمد زكي، ط ١، دار الفكر، دمشق،

	١٩٦١م
(٥٤)	أبوحيان النحوي، خديجة الحديثي، دار النهضة، بغداد، ط١، ١٩٦٦م
(٥٥)	خزانة الأدب، البغدادي، (عبدالقادر ابن عمر)، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٩م
(٥٦)	خزانة الأدب، طبعة بولاق، القاهرة، د ت
(٥٧)	خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، تأليف عبدالقادر رحيم الهيتي، بنغازي، ١٩٩٣م .
(٥٨)	الخصائص، أبوالفتح (عثمان بن جني)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م
(٥٩)	الخصائص، تحقيق محمد على النجار، عالم الكتب، بيروت
(٦٠)	الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين، د. محمد خير الحلواني، دار القلم العربي، حلب، ١٩٥٤م
(٦١)	دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية الأستاذ محمد ثابت وآخرون، ط ٢، ١٩٣٤م
(٦٢)	دراسات في اللغة، إبراهيم السامراي، بغداد، ١٩٦١م
(٦٣)	دراسات في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، الكويت، وكالة المطبوعات، د ت
(٦٤)	الدرر اللوامع على همع الهوامع، الشنقيطي، (أحمد بن الأمين)، تحقيق عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط ١، ١٩٨١م
(٦٥)	دروس في المذاهب النحوية، د. عبده الراجحي، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٢م
(٦٦)	ديوان أبي الأسود، أبوسعيد الحسن السكري، تحقيق محمد الحسن آل يس، مؤسسة أيف للطباعة، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م
(٦٧)	ديوان أبي تمام، شرح محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، ط ١

(٦٨)	ديوان امرؤ القيس، دار صادر، بيروت،د ت
(٦٩)	ديوان حسان ابن ثابت، دار صادر، بيروت، د ت
(٧٠)	ديوان زهير، شرح ديوان زهير
(٧١)	الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي، (أحمد بن عبدالرحمن)، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٨٢م
(٧٢)	الرواية والاستشهاد باللغة، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٦م
(٧٣)	أبوزكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، د.أحمد مكي الأنصاري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٩٨٤م
(٧٤)	سعيد الأفغاني حامل لواء العربية، د. مازن المبارك، دار القلم، دمشق، د ت
(٧٥)	سنن ابن ماجة، الحافظ (عبدالله بن يزيد القزويني)، حقق نصوصه ورقم أبوابه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٢٣م
(٧٦)	سنن الترمذي، أبوعيسى (محمد بن عيسى)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٢م
(٧٧)	السهيلي ومذهبه النحوي، أحمد البنا، بغداد، ١٩٩٧م
(٧٨)	سيبويه إمام النحاة، د. على النجدي، مطبعة لجان البيان العربي، ١٩٥٣م
(٧٩)	الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي، مطبعة جامعة الكويت، الكويت، ١٩٧٤م
(٨٠)	شذرات الذهب، الحنبلي، (عبدالحي بن العماد)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د ت
(٨١)	شرح أبيات سيبويه، السيرافي، (يوسف بن سعيد)، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ١٩٧٩م

(٨٢)	شرح الأشموني، (نورالدين أبوالحسن على بن محمد)، تحقيق محمد محي الدين مطبعة الحلبي، ط ٢، د ت
(٨٣)	شرح التسهيل، ابن مالك،(محمد بن عبد الله بن مالك)، تحقيق د. عبدالرحمن السيد، ود.محمد بدري مختون، ط ١، ١٩٩٠م
(٨٤)	شرح التصريح على التوضيح، الأزهري (خالد بن عبدالله) ، وبهامشه حاشية يس بن زين الدين، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د ت
(٨٥)	شرح الجزولية الصغير، أبوعلى الشلوبين، (عمر بن محمد بن عمر)، (مخطوط)
(٨٦)	شرح الجمل، ابن الضائع، (على بن محمد بن يوسف)، دار الكتب الحديثة (مخطوط)
(٨٧)	شرح المفصل، ابن يعيش (يعيش بن على) عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المنيرية، القاهرة، د ت
(٨٨)	شرح جمل الزجاجي، ابن خروف (أبوالحسن على بن محمد)، تحقيق سلوى محمد عربي، مكة المكرمة جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ
(٨٩)	شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور (على بن مؤمن)، تحقيق صاحب أبوجناح، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٠م
(٩٠)	شرح شواهد المغنى، السيوطي، منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت، د ت
(٩١)	شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري، (أبوعبدالله جمال الدين)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط ١، المكتبة التجارية، ١٩٦٣م
(٩٢)	الشعر والشعراء، ابن قتيبة (عبدالله بن مسلم)، تحقيق وشرح أحمد بن شاكر، ط ٣، ١٩٧٧م

(٩٣)	شواهد التوضيح، ابن مالك، مطبعة القاهرة، ١٩٥٧م
(٩٤)	صحيح البخاري، (محمد بن إسماعيل)، دار الفكر، بيروت، د ت
(٩٥)	صحيح مسلم بن الحجاج، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د ت
(٩٦)	طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، (محمد بن حسن)، طبعة مصر، ١٩٥٤م
(٩٧)	طبقات فحول الشعراء، (محمد بن سلام الجمحي)، قراءة وشرح، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د ت
(٩٨)	ظاهرة الإعراب في النحو، د. أحمد سليمان ياقوت، جامعة الرياض، دار المعرفة الجامعية، د ت
(٩٩)	ظهر الإسلام، أحمد أمين، طبعة القاهرة، ١٩٥٣م
(١٠٠)	عصور الاحتجاج في النحو العربي، محمد إبراهيم عبادة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م
(١٠١)	العلة النحوية نشأتها وتطورها، د مازن المبارك، المكتبة المدنية، ط ١، ١٩٦٥م
(١٠٢)	أبوعلى الفارسي، حياته ومكانته وآثاره، د. عبدالفتاح شلبي، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٨م
(١٠٣)	العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، القيرواني (أبوالحسن بن رشيق)، دار الجيل، ط ٣، ١٩٧٢م
(١٠٤)	غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري، (شمس الدين أبوالخير محمد بن محمد) ، مطبعة الخانجي بمصر ، ١٩٣٢م .
(١٠٥)	الفكر التربوي في الأندلس، عبدالبديع الخولي، ط ٢، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م
(١٠٦)	الفهرس،ابن النديم (محمد بن إسحق)، المطبعة الرحمانية، مصر، د ت

(١٠٧)	في أصول النحو العربي، سعيد الأفغاني، مطبعة جامعة دمشق، ط ٣، ١٩٦٤م
(١٠٨)	في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، ط ٢، ١٩٥١م
(١٠٩)	القياس في النحو العربي، د. سعيد جاسم الزبيدي، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧م
(١١٠)	القياس في النحو، د. مني إلياس، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م
(١١١)	الكامل في اللغة والأدب، المبرد (محمد بن يزيد)، القاهرة، ١٩٦٥م
(١١٢)	كتاب السبعة، ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، د ت
(١١٣)	كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ
(١١٤)	الكتاب، سيبويه، (عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٧م
(١١٥)	الكشاف في عرض حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، (جار الله محمود بن عمر)، مطبعة الاستقامة، مصر، ١٩٥٣م
(١١٦)	لسان العرب، ابن منظور أبوالفضل (جمال الدين محمد بن مكرم)، شرح عبدالله على كبير وآخرين، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠ ومعه الطبعة الأولى ٢٠٠٠م
(١١٧)	اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، عبدالجليل مرتاض، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ت
(١١٨)	لمع الأدلة، ابن الأنباري أبوالبركات (كمال الدين عبدالرحمن بن محمد)، تحقيق سعيد الأفغاني، طبعة دمشق، ١٩٧٧م
(١١٩)	مجلد مجمع اللغة العربية، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٩٣٥م
(١٢٠)	مجمع الأمثال، الميداني، أبوالفضل (أحمد بن محمد بن أحمد)، تحقيق محمد

	أبوالفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م
(١٢١)	المحتسب في تبيين شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبوالفتح (عثمان بن جني)، تحقيق د. علي النجدي وعبدالفتاح شلبي، لجنة إحياء التراث، القاهرة، ١٩٦٩م
(١٢٢)	مدرسة البصرة، د. عبدالرحمن السيد، دار المعارف، مصر، د ت
(١٢٣)	مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، مطبعة الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٨م
(١٢٤)	المدرسة النحوية في مصر والشام، عبدالعال سالم مكرم،مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٩٨٠م
(١٢٥)	مراتب النحويين، أبوالطيب اللغوي (عبدالواحد بن على)، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، القاهرة، د ت
(١٢٦)	المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرح وضبط وتصحيح محمد أحمد جاد المولي وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ت
(١٢٧)	المسائل العسكريات، أبوعلى الفارسي، (الحسن بن أحمد) تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة، مراجعة د. نهاد موسى، منشورات الجامعة الأردنية، د ت
(١٢٨)	المستقصي في أمثال العرب، للزمخشري، (محمد بن عمر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م
(١٢٩)	المقتضب، المبرد، (محمد بن يزيد)، تحقيق محمد عبدالخالق عطيمة، عالم الكتب، بيروت، د ت

فهرس الموضوعات